

العنبر العلو بن المفضل

سلسلة في رحاب نهج البلاغة - ٥

شرح حكم أمير المؤمنين عليّ السلي

الشيخ عباس القمي السيرة

## شرح حكم أمير المؤمنين عليه السلام

---

- الناشر: العتبة العلوية المقدسة
  - المؤلف: الشيخ عباس القمي رحمته الله
  - إخراج فني: نصير شكر
  - عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة
  - السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
- 

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني :

[info@haydarya.com](mailto:info@haydarya.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مَهَيِّدٌ

### الشيخ عباس القمي في سطور

#### ولادته:

ولد الشيخ عباس القمي رحمته الله بحدود عام ١٢٩٤هـ في مدينة قم وفي عائلة عريقة، كان أبوه محمد رضا من الصالحاء وكذلك أمه.

#### نشأته ودراسته:

بدأ الشيخ القمي بالدراسة في بدايات عمره الشريف، وبعدهما أكمل المقدمات الحوزوية، حضر عند الميرزا محمد أرباب، والشيخ أبي القاسم القمي، وفي عام ١٣١٦هـ رحل إلى النجف لتكميل دراسته وحضر عند كبار العلماء آنذاك أمثال السيد محمد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الاصفهاني، وكان أكثر اهتمامه بالحديث والرجال والدراية، ولذا اختصّ بالميرزا حسين النوري وقد ساعده في استنساخ كتاب (مستدرك الوسائل).

ثمّ بعد رحيل المحدث النوري، رجع الشيخ القمي إلى مدينة قم، وذلك عام ١٣٢٢هـ، وبدأ بالوعظ والإرشاد والتحقيق والتأليف، ثم في

عام ١٣٣١هـ استوطن مدينة مشهد حيث مثوى الإمام الرضا عليه السلام واستمرّ بأعماله، وكان يعقد دروس في الأخلاق يحضرها مئات الأشخاص.

وكان على هذا المنوال إلى أن تدهور الوضع السياسي في إيران، فهاجر الشيخ القمي مرة ثانية إلى النجف وبقي فيها إلى أن توفي عام ١٣٥٩هـ وصلى عليه السيد أبو الحسن الاصفهاني، وشيّع تشييعاً مهيباً ودفن في جوار أمير المؤمنين عليه السلام في مدخل الحجرة الثالثة على يمين الداخل من باب القبلة إلى جنب أستاذه المحدث النوري.

#### تأليفاته:

- كان رحمته الله مولعاً بالكتابة والتأليف، وخلف عشرات الكتب، منها:
- ١ - مفاتيح الجنان، ويعدّ أشهر كتاب في الدعاء ولا يخلو بيت ولا مقام منه.
  - ٢ - نفس المهموم، وهو في أحوال سيد الشهداء عليه السلام ومقتله.
  - ٣ - منازل الآخرة، وهو كتاب نفيس يذكر فيه المنازل التي يمرّ بها الإنسان في سفره الآخروي.
  - ٤ - منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل، كتاب نفيس ممتع في تاريخ المعصومين عليهم السلام وذكر أصحابهم وأولادهم وأحفادهم.
  - ٥ - الكنى والألقاب وهو من الكتب المعتمدة في الرجال

والتراجم.

٦ - الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية.

٧ - بيت الأحزان في مصائب سيدة النسوان.

٨ - تنمة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء.

٩ - سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، وهو فهرس موضوعي  
لكتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

١٠ - شرح حكم نهج البلاغة، وهو هذا الكتاب المائل بين  
يديك، قد شرح فيه المؤلف قصار الحكم من كتاب نهج البلاغة شرحاً  
موجزاً واستعان كثيراً بشرح ابن أبي الحديد وابن ميثم، ورتب الحكم  
ترتيباً أبجدياً.

وتعميماً للفائدة، وفي ضمن اهتمامات العتبة العلوية المقدسة  
بتعميم معارف نهج البلاغة، آلينا نشره مرة ثانية - بعدما طُبع من قبل  
مؤسسة نهج البلاغة في مدينة قم - وضمن سلسلة في رحاب نهج  
البلاغة».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على  
محمد وآله الطاهرين..

\*\*\*



## حرف الألف

١ . أزرى بنفسه من استشعر الطمّع، ورضي بالنذل من كشف ضرّه، وهانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه».

هذه ثلاثة فصول؛ الأوّل في الطمّع: «أزرى بنفسه»، أي حقّرها وقصّر بها. «استشعر الطمّع»، أي جعله شعاره، أي لازمه. وفي الحديث: الطمّع الفقر الحاضر<sup>(١)</sup>. وكان يقال: أكثر مصارع الألباب تحت ظلال الطمّع.

الثاني في الشكوى: «من كشف ضرّه»، أي شكى إلى الناس بؤسه وفقره. وفي معناه: لا تشكون إلى أحد فإنّه إن كان عدوّاً سرّه، وإن كان صديقاً ساءه، وليست مسرّة العدو ولا مساءة الصديق بمحمودة.

الثالث في حفظ اللسان: وقد ورد فيه ما لا يحصى منها: سلامة الإنسان في حفظ اللسان، ومنها: ربّ كلمة سفكت دماً، وأورثت ندماً.

---

(١) راجع المحاسن للبرقي ١: ١٦ ح ٤٦، والكاية للكليبي ٢: ١٤٩ ح ٤.



قال الشاعر:

يموت الفتى من عشرة بلسانه وليس يموت المرء من عشرة الرجل

٢ . «عجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم،  
ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم».

قال ابن أبي الحديد: هذا كلام محمول بعضه على ظاهره،  
لما تدعو إليه الضرورة من مخاطبة العامة بما يفهمونه، والعدول عما  
لا تقبله عقولهم، ولا تفي به. انتهى<sup>(١)</sup>.

والخرم - بضم الخاء المعجمة -: الثقب، وهنا ثقب الأنف.  
نبه عليه على لطف خلق الإنسان ببعض أسرار حكم الله فيه،  
وغايته من ذلك الاستدلال على حكمة صانعه ومبدعه، وذكر  
أربعة من محال النظر والاعتبار، وهي آلة البصر والكلام والسمع  
والتنفس، وراعى في القرائن الأربع السجع المتوازي.

٣ . «إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا  
أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه».

كان الرشيد أيام كان حسن الرأي في جعفر بن يحيى،  
يحلف بالله أن جعفراً أفصح من قس بن ساعدة، وأشجع من عامر  
بن الطفيل، وأكتب من عبد الحميد بن يحيى، وأسوس من عمر  
بن الخطّاب، وأحسن من مصعب بن الزبير مع أن جعفراً ليس

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ١٠٣ ، وفيه: «ولا تعيه قلوبهم».

بحسن الصورة، وكان طويل الوجه جداً، وأنصح له من الحجّاج لعبد الملك، وأسمح من عبد الله بن جعفر، وأعفّ من يوسف بن يعقوب، فلماً تغيّر رأيه فيه أنكر محاسنه الحقيقيّة التي لا يختلف إثنان أنّها فيه، نحو كياسته وسماحته. ولم يكن أحد يجسر أن يردّ على جعفر قولاً ولا رأياً.

٤ . «إذا قدرت على عدوك فاجعل العضو عنه شكراً للقدرة عليه».

روي أنّ مصعب بن الزبير لما ولي العراق عرض الناس ليدفع إليهم أرزاقهم، فنادى مناديه: أين عمرو بن جرموز وهو الذي قتل أباه الزبير؟ فقيل له: أيها الأمير، إنّه أبعد في الأرض، قال: أوطنّ الأحمق أنّي أقتله بأبي عبد الله قولوا له: فليظهر آمناً، وليأخذ عطاء مسلماً.

٥ . «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم».

روي أنّ النبي ﷺ بكى لما قتل جعفر بمؤتة، وقال: المرء كثير بأخيه<sup>(١)</sup>. وكان أبو أيوب السجستاني يقول: إذا بلغني موت أخ لي، فكأنّما سقط عضو منّي.

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧: ٢٥٧.

قال الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخاله كساع إلى الهيجا بغير سلاح  
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

٦. «إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلّة

الشكر».

استعار لفظ التنفير لشبهها بالطير المتصل إذا سقط أوله  
اتصل به آخره إن لم ينفر. وفيه إيحاء إلى أن دوام الشكر مستلزم  
لدوامها وكثرتها كقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾<sup>(١)</sup>.

٧. «أقبلوا ذوي المروءات عثراتهم، فما يعثر منهم عاثر إلا

ويد الله ترفعه».

قيل في المروءة: اللذة ترك المروءة، والمروءة ترك اللذة. وقال  
معاوية لعمره: ما ألدّ الأشياء؟ قال: مرفتيان قريش أن يقوموا،  
فلما قاموا قال: إسقاط المروءة.

قال ابن أبي الحديد: لام معاوية يزيد على سماع الغناء وحبّ  
الفتيان، وقال له: أسقطت مروءتك، فقال يزيد: أتكلّم بلساني  
كلمة؟ قال: نعم، وبلسان أبي سفيان بن حرب وهند بنت عتبة مع  
لسانك، قال: والله لقد حدّثني عمرو بن العاص واستشهد على  
ذلك ابنه عبد الله بصدقه، أن أبا سفيان كان يخلع على المغني

---

(١) إبراهيم: ٧.

الفاضل والمضاعف من ثيابه، ولقد حدثني أن جاريّتي عبد الله بن جدعان غنّته يوماً فأطربته، فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوباً ثوباً حتى تجرد تجرد العير، ولقد كان هو وعفان ابن أبي العاص ربّما حملاً جارية العاص بن وائل على أعناقهما، فمرّاً بها على الأبطح وجلة قريش ينظرون إليهما، مرّة على ظهر أبيك، ومرّة على ظهر عفان، فما الذي تنكر منّي؟

فقال معاوية: اسكت لحاك الله، والله ما أحد ألحق بأبيك هذا إلا ليغرّك ويفضحك، وإن كان أبو سفيان ما علمت لتثويل الحلم، يقظان الرأي، عازب الهوى، طويل الأناة، بعيد القعر، وما سوّده قريش إلا لفضله<sup>(١)</sup>.

#### ٨. «امش بدائك ما مشى بك».

يقول: مهما وجدت سبيلاً إلى الصبر على أمرٍ من الأمور التي قد دفعت إليك وفيها مشقة عليك، فاصبر ولا تتعاجز به، بل كن في صورة الأصحاء. وقيل: فيه إيحاء إلى ما أمر به من كتمان المرض، كما قال الرسول ﷺ: من كنوز البرّ كتمان الصدقة والمرض والمصيبة<sup>(٢)</sup>.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ١٣٠ .

(٢) نحوه في الجامع الصغير للسيوطي ٢ : ٥٤٦ ح ٨٢٦٠ .

٩. «أفضل الزهد إخفاء الزهد».

إنما كان كذلك لأن الجهر بالعبادة والزهادة والإعلان بذلك قل أن يسلم من مخالطة الرياء .  
لطيفة: رأى المنصور رجلاً واقفاً ببابه، فقال: مثل هذا الدرهم بين عينيك وأنت واقف ببابنا؟ فقال الربيع: نعم، لأنه ضرب على غير السكة.

١٠. «إذا كنت في إديار والموت في إقبال، فما أسرع الملتقى».

هذا ظاهر، لأن إدياره هو توجهه إلى الموت، وإقبال الموت هو توجه الموت نحوه، فقد حقّ إذن الالتقاء سريعاً، ومثال ذلك سفينتان بدجلة أو غيرها، تصعد إحداهما، والأخرى تنحدر نحوها، فلا ريب أن الالتقاء يكون وشيكاً.

١١. «أشرف الغنى ترك المنى».

المنى: جمع منية بمعنى التمني. وظاهر أن ترك المنى يستلزم القناعة، واستلزامها للغنى النفساني وعدم الحاجة ظاهر.

١٢. «احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع».

يراد بالكريم شريف النفس، ذو الهمة العلية، وبجوعه ضيمه وامتئانه، وشدة حاجته. وذلك مستلزم لثوران غضبه وحميته عند عدم التفات الناس إليه، وشبع اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته، وذلك يستلزم تمرده وأذيته لمن كان تحت يده، ومن

يحتاج إليه من الناس، فربما كان جوعه سبباً لتغيير أخلاقه وتجويدها، ونحن شاهدنا ذلك كثيراً.

### ١٣. «أولى الناس بالعضو أقدرهم بالعقوبة».

قالت الحكماء: ينبغي للإنسان إذا عاقب من يستحق العقوبة، أن لا يكون سبباً في انتقامه، وأن لا يعاقب حتى يزول سلطان غضبه، لتلاً يقدم على ما لا يجوز، ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه، ويعيد النظر فيه. وقالوا أيضاً: لذة العضو أطيب من لذة التشفي والانتقام، لأن لذة العضو يشفعها حميد العاقبة، ولذة الانتقام يتبعها ألم الندم. وقالوا: والعقوبة ألام حالات ذي القدرة وأدناها، وهي طرف من الجزع.

### ١٤. «إذا حييت بتحية فحي بأحسن منها، وإذا أسديت إليك

يد فكافئها بما يربي عليها، والفضل مع ذلك للبادئ».

هذا الكلام أورده ابن أبي الحديد في الشرح، ولم أجده في هذا المقام من النهج، وقال: اللفظة الأولى من القرآن العزيز، والثانية تتضمن معنى مشهوراً، وقوله: «والفضل مع ذلك للبادئ»، يقال في الكرم والحث على فعل الخير، ثم ذكر توسل بعض الأشخاص برحم أو قرابة وإسداء معروف ونحو ذلك، فنالوا منهم بسببه ما لا جزيلاً.

١٥. «أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام».

قال ابن أبي الحديد في الشرح: هذا التشبيه واقع وهو صورة الحال لا محالة. وقد أتيت بهذا المعنى في رسالة كتبتها إلى بعض الأصدقاء تعزية، فقلت: ولو تأمل الناس أحوالهم، وتبينوا مآلهم، لعلموا أنّ المقيم منهم بوطنه، والساكن إلى سكنه، أخو سفر يسرى به وهو لا يسري، وراكب بحر يجرى به وهو لا يدري<sup>(١)</sup>.

١٦. «إذا لم يكن ما تريد فلا تبلى كيف كنت».

كان أصل «لا تبلى» لا تبال، فحذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ومراده **عَلَيْهِ** بهذا الكلام أي إذا فاتك مرادك من الأمر فلا تبلى بفوات ما أملت، ولا تحمل لذلك همماً كيف كنت، وعلى أي حال كنت، من حبس أو مرض أو فقر أو فقد حبيب، وبالجملة لا تبال بالدهر، ولا تكترث بما يعكس عليك من غرضك، ويحرمك من أملك، وذلك لأنّ الأسف على فوات المراد يستلزم غمّاً وألماً وهو مضرّة عاجلة لا يثمر فائدة فارتكابه سفه، وهذا مثل قوله **عَلَيْهِ**: «فلا تكثر على ما فاتك منها أسفاً» ومثل قوله تعالى: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ٢٠٩.

(٢) الحديد: ٢٣.

### ١٧. «إذا تمّ العقل نقص الكلام».

تمام العقل يستلزم كمال قوّته على ضبط القوى البدنيّة وتصريفها بمقتضى الآراء المحمودّة الصالحة، ووزن ما يبرز إلى الوجود الخارجي عنها من الأقوال والأفعال بميزان الاعتبار، وفي ذلك من الكلفة والشرائط ما يستلزم نقصان الكلام بخلاف ما لا يوزن ولا يعتبر من الأقوال. قالوا: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس، فاقربوا منه فإنّه يلقي الحكمة.

### ١٨. «إنّ الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها وبأولها».

روي: «إذا اشتبهت»، والمعنى واحد وهو حقّ، وذلك أنّ المقدمات تدلّ على النتائج، والأسباب تدلّ على المسبّبات، فإذا اشتبهت أمور على العاقل الفطن ولم يعلم إلى ماذا تؤوّل، فإنّه يستدلّ على عواقبها بأوائلها، وعلى خواتمها بفواتحها. وإلى معنى كلامه عليه السلام أشير في هذا المثل بالفارسيّة: «سالى كه نكوست از بهارش پيداست».

١٩. «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لتلك أهلاً: لا يرجون أحد منكم إلّا ربّه، ولا يخافن إلّا ذنبه، ولا يستحين أحد منكم إذا سئل عمّا لا يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يستحين أحد [منكم] إذا لم يعلم الشّيء أن يتعلّمه، وعليكم بالصبر، فإنّ الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا خير في إيمان لا صبر معه».



كُنِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بضرب آباط الإبل عن الرحلة في طلبها، وذلك لأنّ الراكب يضرب إبطي راحلته برجليه ليحثّها على السير. فأحد الخمس: الرجاء لله دون غيره، ومن لوازم ذلك إخلاص العمل له، ودوام طاعته.

والثانية: أن يخاف ذنبه دون غيره، وذلك لأنّ أعظم ما يخافه الإنسان هو عقاب الله، ولما كان إنّما يلحق العبد بواسطة ذنبه، فبالأولى أن يجعل الخوف من الذنب دون غيره.

الثالثة: عدم استحياء من لا يعلم الشيء من قول «لا أعلم»، فإنّ الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال وجهل يستلزم إضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الآخرة. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض.

الرابعة: عدم استحياء من لا يعلم الشيء من تعلّمه، وإلّا لبقى على جهله ونقصانه. قالوا: من استحيا من المسألة لم يستحي الجهل منه. وكان يقال: يحسن بالإنسان التعلّم مادام يقبح منه الجهل، وكما يقبح منه الجهل ما دام حياً كذلك يحسن به التعلّم ما دام حياً.

الخامسة: فضيلة الصبر والأمر باقتنائها، لأنّ كلّ الفضائل لا تخلو منه، وأقلّ ذلك الصبر على اكتسابها ثمّ على البقاء عليها، ولذلك شبّه من الإيمان بالرأس من الجسد، وذلك لأنّ الصبر لما كان موجوداً في كلّ الفضائل التي مجموعها هو الإيمان فلا يقوم إلّا به، أشبه الرأس من الجسد في عدم قيامه بدونه، ثمّ أكّد

التشبيه والمناسبة بينهما بقوله: «لا خير في جسد . . .» إلى آخره.

٢٠. «أوضع العلم ما وقف على اللسان، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان».

هذا حق، لأن العالم إذا لم يظهر من علمه إلا لقلقة لسانه من غير أن يظهر منه العمل، كان عالماً ناقصاً، وأمّا إذا شاهده الناس عاملاً بعلمه، فإنّ النفع يكون به عامّاً تامّاً، وذلك لأنّ الناس يقولون: لو لم يكن يعتقد حقيقة ما يقوله، لما أدّأب نفسه. وأمّا الأوّل فيقولون فيه: كلّ ما يقوله نفاق وباطل، لأنّه لو كان يعلم حقيقة ما يقول لأخذ به، ولظهر ذلك في حركاته، فيقتدون بفعله لا بقوله.

٢١. «إنّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم».

النفوس قد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال للنظر فيه بسبب مشابهة بعض أجزائه لبعض، فإذا اطّلت النفس على بعضه قاست ما لم تعلم منه على ما علمت، ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذّبه وتدوم النظر فيه، أو المراد أنّ القلوب تملّ من الأنظار العقلية في البراهين الكلامية على التوحيد والعدل، فعند ذلك فابتغوا لها طرائف الحكمة، أي الأمثال الحكمية الراجعة إلى الحكمة العملية مثل مدح الصبر، والشجاعة، والزهد، والعفة، وذمّ الغضب، والشهوة، والهوى، وما يرجع إلى سياسة

الإِنسان نفسه، وولده، ومنزله، وصديقه، ونحو ذلك .

٢٢ . «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاؤُوا بِهِ، ثُمَّ تَلَاءَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ...﴾ الآية، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَإِنْ بَعَدَتْ لِحْمَتَهُ، وَإِنْ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرِبَتْ قَرَابَتُهُ».

قال ابن أبي الحديد: هكذا الرواية، والصحيح «أعملهم» لأن استدلاله بالآية يقتضي ذلك، وكذا قوله فيما بعد: «انَّ وليَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ...» إلى آخر الفصل، فلم يذكر العلم، وإنما ذكر العمل.

اللحمة بالضم: النسب والقراية، وهذا مثل الحديث المرفوع: «أَتَتُونِي بِأَعْمَالِكُمْ، وَلَا تَأْتُونِي بِأَنْسَابِكُمْ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»<sup>(١)</sup> انتهى.

وقال ابن ميثم: ولما كان الغرض من الأنبياء جذب الخلق إلى الله بطاعته، فكل من كان أبلغ في الطاعة كان أشد موافقة لهم، وأقرب إلى قلوبهم، وأقوى نسبة إليهم، ولما لم يكن طاعتهم إلا بالعلم بما جاؤوا به، كان أعلم الناس بذلك أقربهم إليهم، وأولاهم به، وبرهان ذلك الآية المذكورة، انتهى<sup>(٢)</sup>.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ٢٥٢ .

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥ : ٢٨٩ .

٢٣. «اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية، لا عقل دراية،

فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل».

نهاهم عاشراً أن يقتصروا إذا سمعوا منه أو من غيره أطرافاً من العلم والحكمة، على أن يرووا ذلك رواية، كما يقرأ أكثر الناس القرآن دراسة ولا يدري من معانيه إلا اليسير. وأمرهم أن يعقلوا ما يسمعون عقل رعاية أي معرفة وفهم. ثم قال لهم: «إن رواة العلم كثير، ورعاته قليل»، أي من يراعيه ويتدبره.

٢٤. «إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان،

فمن أحب الدنيا وتولأها أبغض الآخرة وعادها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وماش بينهما، كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما ضربتان».

هذا الكلام لا يحتاج إلى بيان، لأن عمل كل واحدة من

الدارين مصاد لعمل الأخرى.

٢٥. «إن الله تعالى فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد

لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها».

فرائض الله: واجبات دينه. وحدوده: نهايات ما أباحه من

نعمة ورخص فيه. وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل، إما

بارتكاب ما نهى عنه أو بالإخلال بما أمر به. وقوله عاشراً: «فلا

تتكلفوها» أي بالسؤال والبحث عنه، ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴿١﴾ .  
وجاء في الأثر: أبهموا ما أبهم الله . وحكي عن بعض الصالحين  
أنه قال لبعض الفقهاء: لم تفرض مسائل لم تقع وأتعبت فيها  
فكرك، حسبك بالمتداول بين الناس . وقال شريك في أبي حنيفة:  
أجهل الناس بما كان، وأعلمهم بما لم يكن .

٢٦ . «إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثم أساء رجل  
الظنَّ برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظلم، وإذا استولى الفساد  
على الزمان وأهله، فأحسن رجل الظنَّ برجل، فقد غرر» .

يريد أنه يتعيَّن على العاقل سوء الظنَّ حيث الزمان فاسد، ولا  
ينبغي له سوء الظنَّ حيث الزمان صالح . وقد جاء في الخبر النهي  
عن أن يظنَّ المسلم بالمسلم ظنَّ سوء، وذلك محمول على المسلم  
الذي لم تظهر منه حوبة، كما أشار إليه عليه السلام . والحوبة: المعصية،  
وفي بعض النسخ: الخزية، وهي الفضيحة، والخبر هو ما رواه  
جابر، قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الكعبة، فقال: مرحباً بك من  
بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك، والله إن المؤمن أعظم حرمة منك  
عند الله عز وجل، لأن الله حرّم منك واحدة، ومن المؤمن ثلاثة:  
دمه وماله وأن يظنَّ به ظنَّ سوء<sup>(٢)</sup> . قيل لصويّ: ما صناعتك ؟

---

(١) المائة: ١٠١ .

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي: ١٤٩، عنه البحار ٦٤: ٧٢ ح ٢٩ .

قال: حسن الظنّ بالله، وسوء الظنّ بالناس . وكان يقال: ما أحسن حسن الظنّ إلاّ أن فيه العجز، وما أقبح سوء الظنّ إلاّ أن فيه الحزم . قال الطغرائي: «وحسن ظنّك بالأيّام معجزة» .

#### ٢٧ . «إضاعة الفرصة غصّة» .

أي إنّ تضييع الأمر وقت إمكانه من نفسه يستلزم الغصّة والأسف والحزن على تفويته . وفي المثل: انتهزوا الفرص، فإنّها تمرّ مرّ السحاب .

#### ٢٨ . «إنّ لله ملكاً ينادي في كلّ يوم: لدوا للموت، وابنوا

للخراب، واجمعوا للفناء» .

اللامات الثلاث تسمّى لام العاقبة، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَلْتَقِطُهُ أَلٌ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾<sup>(١)</sup> . فإنّهم ما التقطوه لهذه العلة بل للتبني، لكن كان عاقبة التقاطهم إيّاه العداوة والحزن، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾<sup>(٢)</sup> . وبالجملة خلاصة كلامه **إِيَّاكَ** التنبية على أنّ الدنيا دار فناء وعطب، لا دار بقاء وسلامة، وأنّ الولد يموت، والدور تخرب، وما يجمع من الأموال يفنى . وقد نظم الشاعر بقوله:

له ملك ينادي كلّ يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

---

(١) القصص: ٨ .

(٢) الأعراف: ١٧٩ .

### ٢٩. «استنزلوا الرزق بالصدقة».

لا ريب أن التصدق على الغير يستلزم تأليف قلبه واجتماع همّه على دعاء الله لصلاح حال المتصدق، وهو سبب لاستئصال الرزق مع أن لكل نفس رزق مقدر، فإذا صرت سبب الوصول تستنزل رزقه عليك ولهذا ورد: «من وسّع وسّع عليه، وكلما كثر العيال كثر الرزق». وبهذا المعنى أشار عليه السلام بقوله بعد هذا الكلام: «تنزل المعونة على قدر المؤونة».

### ٣٠. «اعتصموا بالذمم في أوتادها».

الذمم: العهود والعقود والأيمان، وفي أوتادها، أي في مركزها ومظانها، أي لا تستندوا إلى ذمام الكافرين والمارقين، فإنهم ليسوا أهلاً للاستعصام بذممهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَرْفُقُونَ فِي مَوْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾<sup>(١)</sup>. وقال: ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>. وهذه كلمة قالها بعد انقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقاء بين يديه ليبياعوه، منهم مروان بن الحكم.

### ٣١. «الإعجاب إنما يمنع من الأزدية».

إعجاب المرء بفضيلته الداخلة كعلمه، أو الخارجة كفناه إنما يكون عن تصور كماله فيها واعتقاده أنه قد بلغ منها الغاية

---

(١) التوبة: ١٠.

(٢) التوبة: ١٢.

القصوى، وهذا الاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها، وإنما يطلب الزيادة من يستشعر التقصير لا من يتخيل الكمال. وورد في ذمّ العجب روايات كثيرة منها قوله عليه السلام: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبّع، وإعجاب المرء بنفسه»<sup>(١)</sup>.

٣٢. «الأمر قريب، والاصطحاب قليل».

هذه الكلمة تذكّر بالموت وسرعة زوال الدنيا، والمراد بالأمر أمر الله وهو الموت.

٣٣. «إذا هبت أمراً فقع فيه، فإنّ شدة توقّيه أعظم ممّا تخاف منه».

إنّ للنفوس فيما يتوقّع مكروهه انفعالاً كثيراً وفكراً عظيماً في كيفية دفعه والخلاص منه، وذلك أصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتأكّده بتوقّع الأمر المخوف.

٣٤. «آلة الرياسة سعة الصدر».

الرئيس محتاج إلى أمور، منها الجود، ومنها الشجاعة، ومنها وهو الأهمّ سعة الصدر، وهي فضيلة تحت الشجاعة، وهي أن لا يدع الإنسان قوّة التجلّد عند ورود الأحداث المهمّة، والخطوب

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٥ : ٣٢٨.



العظيمة عليه، ولا يحار أو يدهش فيها بل يتحملها .

٣٥ . «أزجر المسيء بثواب المحسن» .

قال أبو العتاهية:

إذا جازيت بالإحسان قوماً زجرت المذنبين عن الذنوب  
فمالك والتناول من بعيد و يمكنك التناول من قريب

٣٦ . «احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك» .

هذا يفسر على وجهين: أحدهما: أن يريد: لا تضر لأخيك  
سوءاً حتى لا يضر هو لك سوءاً، لأنّ القلوب يشعر بعضها  
ببعض، فإذا صفوت لواحد صفا لك . الثاني أن يريد: لا تعظ  
الناس ولا تتههم عن منكر، إلا وأنت مقلع عنه .

٣٧ . «إنما المرء في الدنيا عرض تنتضل فيه المنايا، ونهب

تبادره المصائب، ومع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص .  
ولا ينال العبد نعمة إلا بضراق أخرى، ولا يستقبل يوماً من عمره  
إلا بضراق آخر من أجله، فنحن أعوان المنون، وأنفسنا نصب  
الحتوف، فمن أين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من  
شيء شرفاً، إلا أسرع الكربة في هدم ما بنيا، وتفريق ما جمعا» .

هذا فصل لطيف من الموعظة مشتمل على ثمان كلمات .

الغرض: الهدف، تنتضل أي ترتمي، والنهب بمعنى المنهوب .

وقوله: «مع كل جرعة . . .» إلى آخره كناية عن تنغيص

لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الأعراض والأمراض .  
وأما قوله: «ولا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى» لأن النعمة  
الحقة هي اللذة، وظاهر أن النفس في الدنيا لا يمكن أن يحصل  
على لذتين دفعة، مثلاً: الذي حصلت له لذة الجماع حال ما هي  
حاصلة له، لا بد أن يكون مفارقاً لذة الأكل والشرب، وكذلك  
العكس وهكذا.

والمنون: الموت، وأما كوننا أعوانه باعتبار أن كل نفس  
وحركة من الإنسان فهي مقربة له إلى أجله، فكأنه ساع نحو أجله  
ومساعد عليه، وهذا كقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «نفس المرء خطاه إلى أجله» .  
والنصب بمعنى منصوبة.

وقوله: «فمن أين نرجو» إلى آخره استفهام عن جهة رجاء  
البقاء استفهام إنكار لوجودها مع وجود الزمان الذي من شأنه أنه  
لم يرفع بشيء شرفاً، ويجمع الأمر شمالاً إلا أسرع العود في هدم  
ما رفع، وتفريق ما جمع.

٣٨ . «إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل  
شهوتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمي».

أمر **عَلَيْهِ السَّلَامُ** بإعمال النفوس فيما ينبغي إعمالها فيه من فكر  
ونظر، حين ميلها إليه وإقبالها عليه. ونقر عن حملها عليه مع النظرة  
عنه والكرهية له، لأن إكراه النفس على الفكر في الشيء حين  
نفرتها عنه ملال أو ضعف قوة يزيدا كراهية، ويمنعها ذلك عن

إدراك ما تفكّر فيه ، فلا يدركه وإن كان واضحاً حتى يكون كالأعمى .

٣٩ . «إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلياً بينه وبينه، وإن الأجل جنّة حصينة» .  
أي إذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الإلهي خلياً بينه وبين القدر ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفْظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ ﴾ الآية (١) .

٤٠ . «أيها الناس، اتقوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم منه أدر ككم، وإن أقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكركم» .  
رغب في تقوى الله ، والخشية منه ، ومبادرة الموت ، ومسابقته بالأعمال الصالحة .

٤١ . «أول عوض الحليم من حملة أن الناس أنصاره على الجاهل» .

فيه ترغيب على فضيلة الحليم بما يلزمه من نصره الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه .

٤٢ . «إن لم تكن حليماً فتحلم، فإنه قل من تشبهه يقوم إلا أو شك أن يكون منهم» .

---

(١) الأنعام: ٦١ .

التحلّم: تكلف الحلم، والذي قاله عليه السلام قد جرب وشوهد مراراً، وذلك لأن من تشبه بقوم وتكلف التخلّق بأخلاقهم، والتأدّب بأدابهم، واستمرّ على ذلك، ومرن عليه الزمان الطويل، اكتسب رياضة قويّة، وملكة تامّة، وصار ذلك التكلف كالطبع له، وانتقل عن الخلق الأوّل، وذلك مشاهد في حال الأعرابيّ الجلف الجانيّ إذا دخل المدن والقرى وخالط أهلها، فإنّه يصير بعد زمان طويل شبيهاً بساكني المدن، يلطف طبعه، بل هذا مشاهد في الحيوانات كالبازي والصقر والفهد التي تراض حتى تذللّ، وتأنس وتترك طبعها القديم، بل قد شوهد ذلك في الأسد، وهو أبعد الحيوانات من الإنس، حتى نقل أن عضد الدولة بن بويه كانت له أسود يصطاد بها كالفهود، فتمسكه عليه حتى يدركه فيذكيّه، وهذا من العجائب الطريفة.

٤٣. «اتّقوا الله تقيّة من شمّر تجريداً، وجدّ تشميراً، وأكمش في مهل، وبادر عن وجل، ونظر في كرة الموثل، وعاقبة المصدر، ومغبة المرجع».

أكمش، أي جدّ وأسرع، والمهل: الإمهال. أي: اتّقوا الله كتقيّة من شمّر عن ساق الجدّ في طاعة الله، وجرّد نفسه لمرضاته تشميراً، وسارع بالأعمال الصالحة مادام في مهلة الحياة، وبادر مغفرته في وجل من ثمرات سيئاته. والكرة: الرجعة، والموثل: المرجع، والمغبة: العاقبة.

٤٤. «أغض على القذى والألم ترض أبدأ».

الإغضاء على القذى كناية عن كظم الغيظ، واحتمال المكروه. ولما كانت طبيعة الدنيا معجونة بالمكارة لم يخل الإنسان في أكثر أحواله من ورودها عليه، فما لم يقابلها بالاحتمال بل بالتسخط والغضب بها لم يزل ساخطاً تابعاً بغضبه لدوام ورود المكارة عليه.

٤٥. «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع».

اعلم أن من شأن النفس مخادعته العقل، وغروره بزينة الحياة الدنيا، وقيناتها وإطماعه بها، فالعقول الضعيفة غير المؤيدة من الله أكثر ما تتخدع وتتضرع في جريها للنفوس الأمارة إذا لاح لها مطمع وهمي من الدنيا.

٤٦. «إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً

عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

إن العبادة لرجاء الثواب تجارة ومعاوضة، وإن العبادة لخوف العقاب لمنزلة من يستجدي لسلطان قاهر يخاف سطوته، وتلك ليس عبادة نافعة، وهي كمن يعتذر إلى إنسان خوف آذاه ونقمته، وأما العبادة لله شكراً لأنعمه فهي عبادة نافعة، ولكن هذا مقام جليل تتقاصر عنه قوى أكثر البشر.

٤٧ . «اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ» .

يقال في المثل: ما لا يدرك كَلَّهُ لا يترك كَلَّهُ . فالواجب على من عسرت عليه التقوى بآجمعها أن يتَّقِيَ اللَّهَ فِي الْبَعْضِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِتْرًا وَإِنْ كَانَ رَقِيقًا . وفي أمثال العامَّة: اجعل بينك وبين اللَّه روزنة ، والروزنة لفظة صحيحة معرّبة ، أي لا تجعل ما بينك وبينه مسدوداً مظلماً بالكلية . وبالفارسيَّة يقولون: «همیشه جای صلح باقی گذار» .

٤٨ . «إِذَا أزدحم الجواب، خفي الصواب» .

أي إذا كثر الجواب في مسألة واحدة خفي الصواب فيها لالتباس الحق من تلك الأجوبة .

٤٩ . «إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا، فَمَنْ آدَاهُ زَادَهُ مِنْهَا، وَمَنْ قَصَرَ

فِيهِ خَاطِرَ بَزْوَالِ نِعْمَتِهِ» .

حقَّ اللَّه في النعمة شكرها الواجب ، وأما استلزام أدائه للمزيد منها وكون التقصير مظنة زوالها فلقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ الآية<sup>(١)</sup> .

٥٠ . «إِذَا كَثُرَتِ الْقُدْرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ» .

هذا واضح ، وله علة أوردها ابن أبي الحديد في الشرح ، ليس

---

(١) إبراهيم: ٧ .

هنا مجال نقلها .

٥١. «احذروا نثار النعم، فما كل شارذ بمردود».

هذا أمر بالشكر على النعمة وترك المعاصي، فإن المعاصي تزيل النعم كما قيل:  
إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم  
ومن كلامهم: الشكر جنة من الزوال، وأمنة من الانتقال.  
وأیضا: إذا كانت النعمة وسیمة فاجعل الشكر لها تمیمة . .

٥٢. «أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه».

إنما كان كذلك، لأن فائدة الأعمال الصالحة تطويع النفس الأمانة للنفس المطمئنة ورياضتها بحيث تصير مؤتمرة للعقل، وإكراه النفس على الأمر يكون لشدته، فكلما كان أشد كان أقوى في رياضتها، وأنفع في تطويعها وكسرها، وبحسب ذلك يكون أكثر منفعة فكان أفضل. ولهذا قال ﷺ:  
«أفضل الأعمال أحمرها»، أي أشقها.

٥٣. «إذا أملتكم فتاجروا الله بالصدقة».

الإملاق: الفقر. قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>. قال بعض الشعراء في حق أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) الطلاق: ٧ .

يذكر فيه تصدّقه عليه السلام بقرص الخبز، وإعادة الشمس عليه عليه السلام،  
ولقد آجاد فيما أفاد:

جاد بالقرص والطوى ملء جنبه وعاف الطعام وهو سغوب  
فأعاد القرص المنير عليه القرص والمقرض الكرام كسوب

٥٤. «أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم».

أكثر ما في هذه الدنيا يقع على سبيل القرص والمكافأة،  
فقد رأينا عياناً من ظلم الناس فظلم عقبه وولده، ورأينا من قتل  
الناس فقتل عقبه وولده، ورأينا من أخرج دوراً فأخربت داره،  
ورأينا من أحسن إلى أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلى عقبه وولده.

٥٥. «إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواء، وإذا كان خطأً

كان داء».

وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم، وشدة قبولهم لما يقولون، فإن  
كان حقاً كان دواء من الجهل، وإن كان باطلاً أوجب للخلق داء  
الجهل. ولذلك قيل: زلة العالم زلة العالم.

٥٦. «أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما،

وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما».

الهون بالفتح: التآني والسكينة والوقار، وهو صفة مصدر  
محدوف، أي حياً هيناً معتدلاً. والبغيض: المبغض. وفائدة هذا  
الكلام الأمر بالاعتدال في المحبة والبغض، وعدم الإفراط فيهما،



فربّما انقلب من تودّ فصار عدوّاً، وربّما انقلب من تعاديه فصار صديقاً.

٥٧. «إنّ الطّمع مورد غير مصدر، وضامن غير وفي. وربّما شرق شارب الماء قبل ربه، وكلّما عظم قدر الشّيء المتنافس فيه عظمت الرّزّيّة لفقده. والأمانيّ تعمّي أعين البصائر، والحظّ يأتي من لا يأتيه».

قوله **عاشراً**: «وربّما شرق . . .» إلى آخره كلام فصيح، وهو مثل لمن يخترم بغتة أو تطرفه الحوادث والخطوب وهو في تلهية من عيشه. ومثل الكلمة الأخرى قولهم: على قدر العطيّة تكون الرّزّيّة. «والحظّ يأتي من لا يأتيه»، أي الحظّ لمن كان له حظ يصل إليه وإن لم يسع في طلبه. وبالجملة، نقرّ **عاشراً** في هذا الفصل عن الطمع في الدنيا، والحرص في طلبها وتمنيها واقتنائها.

وقد ضرب الحكماء مثلاً لفرط الطمع، أحببت إيراده، قالوا: إنّ رجلاً صاد قبرة فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: واللّه ما أشفي من قرم، ولا أسمن ولا أغنى من جوع، ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي، أمّا واحدة فأعلمك إياه وأنا في يدك، وأمّا الثانية فإذا صرت على الشجرة، وأمّا الثالثة فإذا صرت على الجبل. فقال: هاتي الأولى، قالت: لا تلهفنّ على ما فات، فخلأها فلمّا صارت على الشجرة قال: هاتي الثانية، قالت: لا تصدقنّ بما لا يكون أنّه

يكون، ثم طارت فصارت على الجبل، فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درّتين، وزن كلّ واحدة ثلاثون مثقالاً، فعضّ على يديه، وتلهّف تلهّفاً شديداً، وقال: هاتي الثالثة، فقالت: أنت قد أنسيت الإثنتين فما تصنع بالثالثة، ألم أقل لك: لا تلهفنّ على ما فات وقد تلهفت، وألم أقل لك: لا تصدقنّ بما لا يكون، أنّه يكون. وأنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً، فكيف صدقت أنّ في حوصلتي درّتين كلّ واحدة منهما ثلاثون مثقالاً ثم طارت وذهبت.

٥٨. «اللهم إنّي أعوذ بك من أن تحسّن في لامعة العيون علانيتي، وتقبح فيما أبطن لك سريرتي، محافظاً على رياء النّاس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه منّي، فأبدي للنّاس حسن ظاهري، وأفضي إليك بسوء عملي، تقرباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك».

لامعة العيون إضافة للصفة إلى الموصوف، أي العيون اللامعة.

٥٩. «إذا أضرت النّوافل بالفرائض فارفضوها». وهذا يقرب من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لا قربة بالنّوافل إذا أضرت بالفرائض».

٦٠. «إذا أرذل الله عبداً حضر عليه العلم». أرذله، أي جعله رذلاً. قيل: من علامة بغض الله تعالى للعبد

أن يبغض إليه العلم .

قال الشاعر :

شكوت إلى وكيع سوء حظي فأرشدني إلى ترك المعاصي  
وعالاه بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتيه عاصي

٦١ . «أصدقائك ثلاثة، وأعدائك ثلاثة، فأصدقائك:

صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك. وأعدائك: عدوك،  
وعدو صديقك، وصديق عدوك».

والأصل في هذا أن صديقك جار مجرى نفسك، فاحكم  
عليه بما تحكم به على نفسك، وعدوك ضدك، فاحكم عليه بما  
تحكم به على الضدّ .

٦٢ . «إن المسكين رسول الله، فمن منعه فقد منع الله، ومن

أعطاه فقد أعطى الله».

هذا حضّ على الصدقة . وورد: «اتقوا النار ولو بشقّ تمرّة،  
فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة» (١) .

وورد: «لو صدق السائل لما أفلح من ردّه» (٢) .

٦٣ . «اتقوا ظنون المؤمنين، فإن الله جعل الحق على

ألسنتهم».

---

(١) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور ١: ٣٦٧ ح ٦٥ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩: ٢١٠ .

كان يقال: ظنّ المؤمن كهانة. وذلك لأنه لا يتخطأ لصفاء نفسه، وكمال استعدادها للفكر الصحيح، كما قال ﷺ: «اتّقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

٦٤. «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًَ وَإِدْبَارًا، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمَلُوهَا عَلَى النِّوَافِلِ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفُرَائِضِ». لا ريب أنّ القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، وتقبل تارة على العلم وتارة على العمل، وتدبر تارة عنهما.

قال عبيد بن ربيعة: فإذا رأيتموها مقبلة أي قد نشطت وارتاحت للعمل فاحملوها على النوافل، أي أدوا الفريضة وتنفّلوا بعدها. وإذا رأيتموها قد ملّت وسئمت فاكثفوا على الفرائض، فإنه لا انتفاع بعمل لا يحضر القلب فيه.

٦٥. «أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفَجَّارِ». قال السيّد: ومعنى ذلك أنّ المؤمنين يتبعونني، والفجّار يتبعون المال، كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها.

٦٦. «اتّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخُلُوتِ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ».

إذا كان الشاهد هو الحاكم استغنى عمّن يشهد عنده،

---

(١) الكافي للكليني ١: ٢١٨.

فالإنسان إذن جدير أن يتقى الله حق تقاته، لأنه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه .

٦٧ . «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما منع غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك» .

أراد بذلك الفرض الزكاة، ورهب عليه السلام الأغنياء بقوله: «والله سائلهم عن ذلك» .

٦٨ . «الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به» .

روي: «خير من الصدق» . والمعنى: لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وإن كنت صادقاً في العذر، فإن الاستغناء عن العذر بعدم فعل ما يعتذر عنه أعز عليك وأنفع لك من أن تفعل ثم تعتذر عنه وإن كنت صادقاً . ويحتمل أن يكون معنى «أعز» أي أكثر عزة لك، إذ الإتيان بالعذر يحتاج إلى ذلة ومهانة، كما قيل: لا يقوم عز الغضب بذلة الاعتذار .

٦٩ . «أقل ما يلزمكم لله سبحانه أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه» .

وذلك أن العدل أن تستعينوا بنعمه على طاعته، فإن لم تفعلوا ذلك فلا أقل من أن يستعملوها في الأمور المباحة دون معصيته، فإن ذلك مما يعد لسخطه، فإنه من القبيح الفاحش أن ينعم الملك على

بعض رعيته بمال وعبيد وسلاح ، فيجعل ذلك المال مادة لعصيانه والخروج عليه ، ثم يحاربه بأولئك العبيد ، وبذلك السلاح بعينه .

٧٠ . «إنَّ الله سبحانه جعل الطاعة غنيمه الأكياس عند تضريط العجزة» .

طاعته غنيمه الأكياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الآخرة ، وسبب الغنيمه غنيمه ، والأكياس هم الذين استعملوا فطنهم وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل ، والعجزة هم المقصرون عما ينبغي لهم ، وهذا مثل صيد استذف لرجلين : أحدهما جلد والآخر عاجز ، فقعد عنه العاجز لعجزه وحرمانه ، واقتنصه الجلد لشهامته وقوة جدّه .

٧١ . «أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه» .  
وذلك لأنّ استهانته به يستلزم انهماكه فيه ، واستكثاره منه ، وعدم إقلاعه عنه حتّى يصير ملكة بخلاف ما يستصعبه من الذنوب .

٧٢ . «أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله» .  
هذا مثل قوله عائلاً : «من نظر في عيوب غيره فأنكرها ، ثمّ رضيتها لنفسه ، فذلك الأحمق بعينه» .

٧٣ . «أيها الناس ، ليركم الله من النعمة وجلين ، كما يراكم

من النّعمة فرقين إنّه من وسّع عليه في ذات يده، فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً».

الاستدراج: الأخذ على غرّة. وأمر بالوجل من نعمة الله حال إفاضتها خوف الاستدراج بها كما يخاف من النّعمة، وذلك أنّ النّعمة بلاء يجب مقابلته بالشكر كما أنّ النّعمة بلاء يجب مقابلته بالصبر، والغرض الحثّ على فضيلتي الشكر والصبر. وحذر من الركون إلى النّعمة والغفلة فيها عن الله بقوله: «إنّه من وسّع» إلى قوله «مخوفاً» وكذلك حذر الفقير أن يفضّل عن كون فقره بلاء أو اختباراً بما يلزم ذلك من تضييع المأمول، وذلك لأنّه يستعدّ باعتقاد أنّه اختبار من الله له للصبر عليه، ويؤمل منه تعالى الأجر الجزيل في الآخرة، وإذا لم يعتقد ذلك ضيّع مأموله منه.

٧٤ . «إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي ﷺ، ثمّ سل حاجتك، فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى».

٧٥ . «إنّ الله سبحانه وضع الثّواب على طاعته، والعقاب على معصيته، زيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنّته». الذّودة: الدفع والمنع. وحياشة مصدر: حشت الصيد. بضمّ الحاء - أحوشه، إذا جنّته من حواليه لتصرفه إلى الحباله. أشار عليه السلام

إلى غايتي الحكمة الإلهية من وضع الثواب والعقاب ، وهما دفع  
عباد الله عن نقمته وجمعهم إلى جنّته .

٧٦ . «إنّ الحقّ ثقيل مريء، وإنّ الباطل خفيف وبيء» .  
مرؤ الطعام - بالضمّ - فهو مريء على «فعليل» كخفيف . ووبئ  
البلد - بالكسر - فهو وبيء على «فعليل» أيضاً .  
والمراد أنّ الحقّ وإن كان ثقيلاً إلا أنّ عاقبته محمودة ،  
والباطل وإن كان خفيفاً إلا أنّ عاقبته مذمومة ، فلا يحملنّ  
أحدكم حلاوة عاجل الباطل على فعله ، فلا خير في لذة قليلة  
عاجلة ، يتعقبها مضارّ عظيمة آجلة ، ولا يصرفنّ أحدكم عن الحقّ  
ثقله ، فإنّه سيحمد عقبى ذلك ، كما يحمد شارب الدواء المرّ شرّبه  
فيما بعد إذا وجد لذة العافية .

٧٧ . «احذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند  
طاعته، فتكون من الخاسرين، وإذا قويت فاقو على طاعة الله،  
وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله» .  
حذر من الأمرين بما يلزمه من دخوله في زمرة الخاسرين  
لثواب الله يوم القيامة ، ثمّ أمر بالقوّة على طاعة الله ليتمّ  
الاستعداد بها لرحمته ، وبالضعف عن معصيته ليضعف الاستعداد  
بها عن قبول سخط الله ونقمته .

٧٨ . «ألا وإنّ من البلاء الفاقة، وأشدّ من الفاقة مرض  
البدن، وأشدّ من مرض البدن مرض القلب، ألا وإنّ من النعم



سعة المال، وأفضل من سعة المال صحّة البدن، وأفضل من صحّة  
البدن تقوى القلب».

أشار **إبيّلا** إلى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف، وإلى  
ما يقابلها من درجات النعمة كذلك. فأما مرض القلب وصحّته  
فالمراد بها التقوى وصحّتها، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ  
سَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال بعض الشعراء:

المال للمرء في معيشته خير من الوالدين والولد  
وإن تدم نعمة عليك تجد خيراً من المال صحّة الجسد  
وما بمن نال فضل عافية وقوت يوم فقر إلى أحد

٧٩. «ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها، ولا تغفل فلست

بمغفول عنك».

لما كانت محبة الدنيا مستلزمة لإخفاء عيوبها عن إدراك  
محبّيها، كما قيل: «حبك الشيء يعمي ويصم»، كان بغضها  
والسخط عليها رافعاً لذلك الستر.

أمر **إبيّلا** بالزهد فيها لهذه الغاية، فإنّه إذا زهد فيها فقد  
سخطها، وإذا سخطها أبصر عيوبها مشاهدة لا رواية. وهذا كما  
قال القائل:

---

(١) الشعراء: ٨٩.

وعين الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السَّخَطِ تبدي المساويا  
ثمَّ نهى عن الغفلة فيها، إنَّك غير مغفول عنك، فلا تغفل أنت  
عن نفسك، فإنَّ أحقَّ الناس وأولاهم أن لا يغفل عن نفسه من ليس  
بمغفول عنه، ومن عليه رقيب وشهيد ومن يناقش عليه الفتييل  
والنقيير .

٨٠ . «إنَّ للوالد على الولد حقًّا، وإنَّ للولد على الوالد حقًّا،  
فحقَّ الوالد على الولد أن يطيعه في كلِّ شيءٍ إلا في معصية الله  
سبحانه، وحقَّ الولد على الوالد أن يحسنَّ اسمه، ويحسنَّ أدبه،  
ويعلِّمه القرآن» .

أمَّا صدر الكلام فمن قول الله سبحانه: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي  
وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ  
بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾<sup>(١)</sup> .

٨١ . «افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً، فإنَّ صغيره كبير،  
وقليله كثير، ولا يقولنَّ أحدكم: إنَّ أحداً أولى بفعل الخير مني،  
فيكون والله كذلك» .

القليل من الخير خير من عدم الخير أصلاً . قوله: «ولا يقولنَّ»  
إلى آخره، كناية عن ترك المرء الخير اعتماداً على أن غيره بفعله  
أولى، مثل ردِّ السائل عن الباب وإحالتها إلى آخر بقوله: اذهب إلى

---

(١) لقمان: ١٤-١٥ .

فلان، فهو أولى بأن يتصدق عليك مني .

«فيكون والله كذلك» أي أن الله يوفق ذلك الشخص الذي أحيل السائل عليه، فيصدق عليه، فتكون كلمة ذلك الإنسان الأول قد صادف قدراً وقضاء، ووقع الأمر بموجبها .

٨٢ . «إن للخير والشر أهلاً، فمهما تركتموه منهما كفاكموه

أهله» .

هذا ترغيب في الخير وتنفير عن الشر .

٨٣ . «إن لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، فيقرها في

أيديهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، ثم حوّلها إلى غيرهم» .

وقريب من ذلك قول الشاعر:

لم يعطك الله ما أعطاك من نعم إلا لتوسع من يرجوك إحسانا  
فإن منعت فأخلق أن تصادفها تطير عنك زرافات ووحدا

٨٤ . «إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالا

في غير طاعة الله، فورثه رجلاً فأنفقه في طاعة الله سبحانه،  
فدخل به الجنة، ودخل الأول به النار» .

ويناسب هنا نقل قوله عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام : «يا بني،

لا تخلفن وراءك شيئاً من الدنيا . . .» .

٨٥ . «إن أخسر الناس صفقة، وأخيبهم سعياً، رجل أخلق

بدنه في طلب ماله، ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرتة، وقدم على الآخرة بتبعته».

هذه حال أكثر الناس، وذلك لأن أكثرهم يكذب بدنه ونفسه في بلوغ الآمال الدنيوية، والقليل منهم من تساعده المقادير على إرادته، وإن ساعدته على شيء منها بقي في نفسه ما لا يبلغه، فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بحسرتة، ويقدم على الآخرة بتبعته.

٨٦. «اذكروا انقطاع اللذات، وبقاء التبعات».

قال الشاعر:

تفنى اللذات مَمَّن نال بغيته من الحرام، ويبقى الإثم والعار  
تبقى عواقب سوء في مغبتها لا خير في لذة من بعدها النار

٨٧. «أخبر تقله».

قال الرضي رحمته الله: ومن الناس من يروي هذا لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومما يقوي أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب، قال: حدثنا ابن الأعرابي قال: قال المأمون: لولا أن علياً عليه السلام قال: أخبر تقله لقلت أنا: أقله تخبر.

المعنى: اخبر الناس وجربهم تبغضهم، فإن التجربة تكشف لك عن مساويهم وسوء أخلاقهم، فضرب مثلاً لمن يظن به الخير وليس هناك.

قيل: طيّروا الدم في وجوه الشباب، فإن حلموا وأحسنوا  
الجواب فهم هم، وإلا فلا تطمعوا فيهم.

طيّروا الدم في وجوه الشباب، أي أغضبوهم، لأن الغضبان  
يحمّر وجهه.

قال الشاعر:

ذممتك أولاً حتّى إذا ما      بلوت سواك عاد الذمّ حمداً  
ولم أحمدك من خير ولكن      وجدت سواك شراً منك جداً  
فعدت إليك مضطراً ذليلاً      لأنّي لم أجد من ذاك بداً  
كمجهود تحامى أكل ميت      فلما اضطرّ عاد إليه شداً

٨٨. «أولى الناس بالكرم من عرّقت فيه الكرام».

عرّقت أي ضربت عروقه في الكرم، أي له سلف وآباء  
كرام. قال الباحثي:

وأرى النجابة لا يكون تمامها      لنجيب قوم ليس بابن نجيب

٨٩. «إذا كان في رجل خلة رائقة، فانتظروا منه أخواتها».

مثال ذلك إنسان مستور الحال عنّا رأيناه وقد صدرت عنه  
حركة تروعك وتعجبك، إمّا لحسنها أو لقبحها، فينبغي أن ينتظر  
ويترقب منه أخوات ما وقع منه، وذلك لأنّ العقل والطبيعة التي فيه  
المحرّكة له إلى فعل تلك الحركة، لا بدّ أن تحرّكه إلى فعل ما  
يناسبها، لأنّها ما دعتة إلى فعل تلك الحركة لخصوصيّة تلك

الحركة، بل لما فيها من المعنى المقتضي وقوعها، وهذا يتعدى إلى غيرها ممّا يجانسها، ولذلك لا ترى أحداً قد شرب الخمر إلاّ وسوف يشربها فيما بعد، وبالعكس في الأمور الحسنة.

٩٠. ألا حرّ يدع هذه اللماظة لأهلها، إنّه ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة، فلا تبيعوها إلاّ بها».

اللماظة بفتح اللام ما تبقى في الفم من الطعام، قال الشاعر يصف الدنيا:

«لماظة أيام كأحلام نائم»

«ألا حرّ» مبتدأ، وخبره محذوف، أي في الوجود. وقوله: «ليس لأنفسكم ثمن إلاّ الجنّة» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾<sup>(١)</sup>.

٩١. «إنّ لبني أمية مروداً يجرون فيه، ولو اختلفوا فيما بينهم ثمّ كادتهم الضباع لغلبتهم».

قال الرضي رضي الله عنه:

وهذا من أفصح الكلام وأغربه، والمرود ها هنا مفعول من الإرواد، وهو الإمهال والإنظار، فكأنّه <sup>إِذَا</sup> شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية، فإذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها.

---

(١) التوبة: ١١١.

قال الفاضل المؤرخ الأديب عبد الحميد المشهور بابن أبي الحديد: هذا إخبار عن غيب صريح، لأن بني أمية لم يزل ملكهم منتظماً لما لم يكن بينهم اختلاف، وإنما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صفين، وحرب يزيد أهل المدينة، وابن الزبير بمكة، وحرب مروان الضحّاك، وحرب عبد الملك ابن الأشعث وابن الزبير، وحرب يزيد ابنه بني المهلب، وحرب هشام زيد بن علي، فلما ولي الوليد بن يزيد وخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد وقتله، اختلفت بنو أمية فيما بينهما، وجاء الوعد وصدق من وعد به فإنه منذ قتل الوليد دعت دعاة بني العباس بخراسان، وأقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة، فخلع إبراهيم بن الوليد، وقتل قوماً من بني أمية، واضطرب أمر الملك وانتشر، وأقبلت الدولة الهاشمية ونمت، وزال ملك بني أمية، وكان زوال ملكهم على يد أبي مسلم، وكان في بدايته أضعف خلق الله وأعظمهم فقراً ومسكناً، وفي ذلك تصديق قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثمّ كادتهم الضباع لغلبتهم». انتهى<sup>(١)</sup>.

قلت: ولفظ الضباع قد يستعار للأراذل والضعفاء. ونحن قد ذكرنا شرح حال الخلفاء وما وقع في أيامهم في كتابنا المسمى بـ«تمة المنتهى في وقايح أيام الخلفاء».

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠: ١٨٢.

٩٢. «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه».

ليس يعني أن الاحتشام علة الفرقة بل هو دلالة وأمانة على الفرقة، لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضي الاحتشام لانبسط على عادته الأولى، فالانقباض أمانة المباشرة.





## حرف الباء

٩٣. «بقية السيف أنمى عدداً، وأكثر ولداً».

قال ابن ميثم: لا أرى ذلك إلا للعناية الإلهية ببقاء النوع وحفظه وإقامته<sup>(١)</sup>. وقال ابن أبي الحديد في شرحه: قال شيخنا أبو عثمان: ليته لما ذكر الحكم ذكر العلة، ثم قال: قد وجدنا مصداق قوله في أولاده وأولاد الزبير وبني المهلب وأمثالهم ممن أسرع القتل فيهم. وأتى زياد بامرأة من الخوارج فقال: أما والله لأحصدنكم حصداً، ولأفنيننكم عدداً، فقالت: كلاً، إن القتل ليزرعنا، فلما هم بقتلها تسترت بثوبها، فقال: اهتكوا سترها لحاها الله، فقالت: إن الله لا يهتك ستر أوليائه، ولكن التي هتك سترها على يد ابنتها سمية، فقال: عجلوا قتلها أبعدها الله، فقتلت<sup>(٢)</sup>.

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٨٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨: ٢٣٥.

٩٤. «بئس الزاد إلى المعاد، العدوان إلى العباد».

لأنّ الظلم رذيلة عظيمة مستلزمة للشقاء الأشقى في يوم الطامة الكبرى. وفي الحديث: الظلم ظلّمت يوم القيامة.

٩٥. «بكثرة الصّمت تكون الهيبة، وبالنّصفه يكثر الواصلون، وبالإفضال تعظم الأقدار، وبالتّواضع تتمّ النّعمة، وباحتمال المؤنّ يجب السّؤدد، وبالسيّرة العادلة يقهر المناوئ، وبال حلم عن السّفية تكثر الأنصار عليه».

قال يحيى بن خالد: ما رأيت أحداً قطّ صامتاً إلاّ هبته حتّى يتكلّم، فإمّا أن تزداد تلك الهيبة أو تنقص. ولا ريب أنّ الإنصاف سبب انعطاف القلوب إلى المنصف، وأنّ الإفضال والجود يقتضي عظم القدر، لأنّه إنعام، والمنعم مشكور، وهكذا إلى آخره، فإنّ الاستقراء واختبار العادات تشهد بجميع ذلك.

قوله: «وبالسيّرة العادلة يقهر المناوئ»، المناوءة: المعادة، وذلك لأنّ العدو لا يجد لصاحب السيّرة العادلة عيباً يستظهر به عليه، ويسعى به في فساد أمره فيبقى مقهوراً مأموراً.

٩٦. «بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرّة».

اعلم أنّ الدنيا بشهواتها ولذاتها حجاب بين العبد وبين الموعظة، لأنّ الإنسان يغترّ بالعاجلة، ويتوهّم دوام ما هو فيه، وإذا خطر بباله الموت وعد نفسه رحمة الله وعفوه، هذا إذا كان ممّن

يعترف بالمعاد ، وإلا فإن كثيراً ممن يظهر القول بالمعاد فهو في الحقيقة غير مستيقن له . وبالجملة ، الإخلاد إلى عفو الله والاتكال على المغفرة مع الإقامة على المعصية ، غرور لا محالة ، والحازم من عمل لما بعد الموت ، ولم يمن نفسه الأمانى الباطلة .

٩٧ . «البخل جامع لمساوي العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل

سوء» .

البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء ، وهي مستلزمة للجهل والفجور وحب الدنيا والجبن والظلم والحرص والحسد والشراً ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المواساة . وبالجملة ، أكثر الرذائل من توابع البخل ولو احقه ، وإنه زمام إلى كل منها . وفي الحديث النبوي ﷺ : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه» (١) .



---

(١) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور ١ : ٢٧٣ ح ٩٦ .

## حرف التاء

٩٨. «تذللّ الأمور للمقادير، حتّى يكون الحتف في التدبير». قال ابن أبي الحديد: إذا تأملت أحوال العالم وجدت صدق هذه الكلمة ظاهراً، ولو شئنا أن نذكر الكثير من ذلك لذكرنا ما يحتاج في تقييده بالكتابة مثل حجم كتابنا هذا. أي كتاب شرحه على النهج<sup>(١)</sup>. ثم ذكر قليلاً منه، طوينا عن ذكره كشحاً.

٩٩. «توقّوا البرد في أوّله، وتلقّوه في آخره، فإنّه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار، أوّله يحرق، وآخره يورق». هذه مسألة طبيعّية قد ذكرها الحكماء، قالوا: لما كان تأثير الخريف في الأبدان، وتولّده الأمراض كالزكام والسعال وغيرهما أكثر من تأثير الربيع، مع أنّهما جميعاً فصلاً اعتدال، وأجابوا بأنّ برد الخريف يفجأ الإنسان وهو معتاد للحرّ بالصيف

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ١٢٠.

فينكأ فيه، ويسد مسام دماغه، لأن البرد يكثف ويسد المسام، فيكون كمن دخل من موضع شديد الحرارة إلى خيش بارد. فأما المنتقل من الشتاء إلى فصل الربيع، فإنه لا يكاد برد الربيع يؤذيه ذلك الأذى، لأنه قد اعتاد جسمه برد الشتاء، فلا يصادف من برد الربيع إلا ما قد اعتاد ما هو أكثر منه، فلا يظهر لبرد الربيع تأثير في مزاجه، على أن الصيف والخريف يشتركان في اليبس، فإذا ورد البرد حينئذٍ ورد على أبدان استعدت بحرارة الصيف ويبسه للتخلخل وتفتح المسام والجفاف، فاشتد انفعال البدن عنه، وأسرع تأثيره في قهر الحرارة الغريزية، فيقوى بذلك في البدن قوتا البرد واليبس اللتان هما طبيعة الموت، فيكون بذلك ييس الأشجار واحتراق أوراقها، وضمور الأبدان وضعفها. فأما لم أوراق الأشجار وأزهرت في الربيع دون الخريف؛ فلما في الربيع من الكيفيتين اللتين هما منبع النمو والنفس النباتية، وهما الحرارة والرطوبة، والخريف خال من هاتين الكيفيتين ومستبدل بهما ضدّهما، وهما البرودة واليبس المنافيان للنشوء وحياة الحيوان والنبات.

#### ١٠٠. «تنزل المعونة على قدر المؤونة».

المؤونة: التعب والشدة، والمراد أن الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معدّ لاستنزال معونة الله برزقه وقوته على القيام بأحوالهم ودفع المؤونة من جهتهم. وقد مرّ قريبا من هذا في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«استنزلوا الرزق بالصدقة».

#### ١٠١. «ترك الذنب أهون من طلب التوبة».

إذا ترك لا كلفة فيه لكونه عدماً، بخلاف التوبة، فإنه إذا وقع الإنسان الذنب، ثم طلب التوبة، فقد لا يخلص داعيه إليها، ثم لو خلس فكيف له بحصولها على شروطها، ولا ريب أن ترك الذنب من الابتداء أسهل من طلب توبة هذه صفتها.

#### ١٠٢. «تكلّموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه».

قال ابن أبي الحديد: هذه إحدى كلماته عليه السلام التي لا قيمة لها، ولا يقدر قدرها<sup>(١)</sup>، والمعنى قد تداوله الناس قال: وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

#### ١٠٣. «التقى رئيس الأخلاق».

التقى هو الورع والخوف من الله، وإذا حصل حصلت الطاعات كلّها، وانتفت القبائح كلّها، وتلك طبقة عالية أشرف من جميع الطبقات التي يمدح بها الإنسان.



---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩: ٢٤٠.

## حرف الثناء

١٠٤. «ثمرّة التّفريط النّدامة، وثمرّة الحزم السّلامة». التّفريط: إضاعة الحزم في الأمور، وأصل الحزم قوّة العقل، وكثرة التجربة، فإنّ العاقل خائف أبداً، والأحمق لا يخاف، ومن خاف أمراً توقّاه، فهذا هو الحزم.

١٠٥. «الثّناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتّقصير عن الاستحقاق عيّ أو حسد».

الملق هو اللطف الشديد بالقول، والإفراط في المدح، وأمّا إذا قصر به عن استحقاقه كان المانع إمّا من جانب المثني فقطً من غير تعلّق له بالمثني عليه، أو مع تعلّق به، فالأول هو العيّ والحصر، والثاني هو الحسد والمنافسة.



## حرف الجيم

١٠٦ . «الجود حارس الأعراض، والحلم فدام السفّيه، والعضو  
زكاة الظفر، والسلوّ عوضك ممّن غدر، والاستشارة عين الهداية.  
وقد خاطر من استغنى برأيه، والصبر يناضل الحدثان، والجزع  
من أعوان الزّمان وأشرف الغنى ترك المنى. وكم من أسير عند  
هوى أمير ومن التّوفيق حفظ التّجربة، والمودّة قرابة مستفادة،  
ولا تأمنن مملولاً».

مثل قوله عليه السلام: «الجود حارس الأعراض» قولهم: كلّ عيب  
فالكرم يغطّيه. والفسدام: خرقة تجعل على فم الإبريق، فشبهه  
الحلم بها، فإنّه يردّ السفّيه عن السفه كما يردّ الفدام الخمر عن  
خروج القذى منها إلى الكأس.

والمناضلة: المراماة. قوله: «والجزع من أعوان الزمان»، يعني  
أنّ الإنسان إذا جزع عند المصيبة فقد أعان الزمان على نفسه،  
وأضاف إلى نفسه مصيبة أخرى.

وقد سبق القول في ترك المنى. وحفظ التجربة: لزومها



ومداومتها لغاية الانتفاع بها. «ولا تأمننّ ملولاً» لأنّ الملول يصرفه  
ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكتمان السرّ ونحوها.

١٠٧. «جاهلكم مزداد، عالمكم مسوّف».

أي مزداد من الإثم، مسوّف بالتوبة.



## حرف الجاء

١٠٨. «الحذر الحذر فو الله لقد ستر، حتى كأنه قد غفر».

حذر من سخط الله بسبب معصيته لطول إمهاله وستره إلى الغاية المذكورة، فيجب أن يحذر غضبه، ويجتنب معصيته، ويرجع إلى طاعته التي هي الغاية من عنايته بستره.

١٠٩. «حسد الصديق من سقم المؤدة».

إذا حسدك صديقك على نعمة أعطيتها لم تكن صداقته صحيحة، فإن الصديق حقاً من يجري مجرى نفسك، والإنسان لم يحسد نفسه.

١١٠. «الحجر الغصب في الدار رهن على خرابها».

قال الرضي رحمته الله: وقد روي ما يناسب هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله ولا عجب أن يشتهر الكلامان، فإن مستقاهما من قليب، ومفرغهما من ذنوب.

الذنوب بالفتح: الدلو المليء، ولا يقال لها وهي فارغة. ومعنى الكلمة أن الدار المبنية بالحجارة المغصوبة ولو بحجر

واحد، لا بدّ أن يتعجّل خرابها، وكأنّما ذلك الحجر رهن على حصول التخرّب، أي كما أنّ الرهن لا بدّ أن يفتكّ، كذلك لا بدّ لما جعل ذلك الحجر رهنا عليه أن يحصل. وقال ابن بسّام لأبي عليّ بن مقلة لما بنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب وظلم الرعيّة:  
قل لابن مقلة مهلاً لا تكن عجلاً فإنّما أنت في أضغاث أحلام  
تبني بأنقاض دور الناس مجتهداً داراً ستتنقض أيضاً بعد أيام  
وكان ما تفرّسه ابن بسّام فيه حقّاً، فإنّ داره نقضت حتّى  
سوّيت بالأرض في أيام الراضي بالله.

١١١. «الحدّة ضرب من الجنون، لأنّ صاحبها يندم، فإنّ لم يندم فجنونه مستحکم».

كأن يقال: لا يصحّ لحديد رأي، لأنّ الحدّة تصدئ العقل كما يصدئ الخلّ المرأة فلا يرى صاحبه فيه صورة حسن فيفعله، ولا صورة قبيح فيجتنبه. وكان يقال أيضاً: أوّل الحدّة جنون، وآخرها ندم.

١١٢. «الحلم عشيرة».

لأنّه يحمي صاحبه ممّن ينافره ويعاديه كما يحميه عشيرته. قالوا: من غرس شجرة الحلم، اجتنى ثمرة السلم. وقالوا أيضاً:  
الحلم جنود مجنّدة لا أرزاق لها. قال الشاعر:  
و للكفّ عن شتم اللئيم تكراً أضرّ له من شتمه حين يشتم

١١٣ . «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاسترخلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك».

لما جعل الله الحلم غطاء، والعقل حساماً، أمره أن يسترخلل خلقه بذلك الغطاء، وأن يقاتل هواه بذلك الحسام، وكون الحلم غطاء باعتبار أنه يستر سورة الغضب وقبيح ما يصدر عنه من الأفعال.

١١٤ . «الحلم والأناة توأمان، ينتجهما علو الهمة».

وذلك لأن عالي الهمة يستحقر كل ذنب ومذنب في حقّه، فيحلم عنه ويتأني عن المبادرة إلى مقابلته. قالوا: علّمنا الله تعالى فضيلة الأناة بما حكاه عن سليمان، ﴿سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وكان يقال: الأناة حصن السلامة، والعجلة مفتاح الندامة. وقيل أيضاً: التأني مع الخيبة خير من التهور مع النجاح.



---

(١) النمل: ٢٧.

## حرف الخاء

١١٥ . «خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتهم حنّوا إليكم».

حنّوا بالحاء المهملة من الحنين، وهو الشوق وتوقان النفس، من حنّ إليه يحنّ بالكسر حنيناً. وقال ابن أبي الحديد<sup>(١)</sup>: وقد روي «حنّوا» بالحاء المعجمة، من الحنين، وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء. وإلى تتعلّق بمحذوف، أي حنّوا شوقاً إليكم. وفيه كما ترى.

وبالجملة، هذا الكلام في الأمر بإحسان العشرة مع الناس، وقد ورد في هذا الباب كثير واسع. قال محمد بن الحنفية: قد يدفع باحتمال المكروه ما هو أعظم منه. وروي: حسن السؤال نصف العلم، ومدارة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة. وفي معنى كلامه **عَلَيْهِ السَّلَامُ** قول السعدي بالفارسية: چنان زی که ذکرت به تحسین کنند چو مردی نه بر گور نفرین کنند

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ١٠٧.

١١٦- «خذ الحكمة أنى كانت، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجج في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن».

قال الرضي رضي الله عنه: وقال عليه السلام في مثل ذلك:

١١٧ . «الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق».

أمر عليه السلام بأخذ الحكمة وتعلمها أين وجدت ولو من المنافقين، ورغب من عساه يستتكف من أخذها من بعض المواضع أن يأخذها من كل موضع وجدها. وكنى بتلججها أو اختلاجها على الروايتين عن اضطرابها، وعدم ثباتها في صدر المنافق إلى أن تخرج إلى مظنها وهي صدر المؤمن، فتسكن إلى صواحبها من الحكم فيه. واستعار لفظ الضالة للحكمة، بالنسبة إلى المؤمن باعتبار أنها مطلوبه الذي يبحث عنها وينشدها كما ينشد الضالة صاحبها. وحكي أنه خطب الحجّاج فقال: إن الله أمرنا بطلب الآخرة، وكفانا مؤونة الدنيا، فليتنا كفينا مؤونة الآخرة، وأمرنا بطلب الدنيا فسمعها الحسن، فقال: هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق.

١١٨ . «الخلاف يهدم الرأي».

أصله: إن رأي الجماعة يجتمع على أمر تكون المصلحة فيه، فيقع من بعضهم خلاف فيه، فيهدم ما اجتمعوا عليه ورأوه من

المصلحة. كما رأى هو عليه السلام وجماعة من أصحابه عند رفع أهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من إتمام القتال، وهو المصلحة، فهدم ذلك الرأي من خالف فيه من أصحابه حتى وقع بذلك ما وقع.

١١٩. «خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو، والجبن، والبخل، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها».

الأخلاق الثلاثة المذكورة رذائل للرجال وهي فضائل للنساء، وبيان ذلك ما ذكره عليه السلام. والمزهوة: المتكبرة، تقول: زهي الرجل علينا، فهو مزهو، إذا افتخر. وفرقت: خافت.

١٢٠. «خذ من الدنيا ما أتاك، وتول عما تولى عنك، فإن أنت لم تفعل فأجمل في الطلب».

الإجمال في طلب الدنيا طلبها برفق من الوجه الذي ينبغي، وعلى الوجه الذي ينبغي، وهي من الألفاظ النبوية، قال صلى الله عليه وآله: «إن روح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا في الطلب»<sup>(١)</sup>.



---

(١) الجامع الصغير للسيوطي ١: ٢٤٧ ح ٢٢٧٣.

## حرف الدال

١٢١. «الدَّهْرُ يَخْلُقُ الْأَبْدَانَ، وَيَجَدِّدُ الْأَمَالَ، وَيَقْرَبُ الْمَنِيَّةَ، وَيَبْعِدُ الْأَمْنِيَّةَ، مَنْ ظَفَرَ بِهِ نَصَبٌ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعَبٌ».

إخلاق الدهر للأبدان إعداده لضعفها وفسادها بمروره، وما يلحق أجزاءه وفصوله من الحرّ والبرد والمتاعب المنسوبة إليه، وتجديده للأمال بحسب الغرور الحاصل بالبقاء، والصحة فيه، وأكثر ما يعرض ذلك للمشايخ، فإنّ طول أعمارهم وتجاربهم لما يعرض فيه من الحاجة والفقر، يغريهم بالحرص على الجمع، ومدّ الأمل فيه لتحصيل الدّنيا، وتقريبه للمنيّة بحسب إخلاقه للأبدان، وتبعيده للأمنيّة بحسب تقريبه للمنيّة.

ومن ظفر بالدهر، شقي بضبطها وحفظها، ومن فاتته تعب في تحصيلها.

ولا يخفى ما في كلّ من القرينتين من السجع. قال بعض الحكماء: الدّنيا تسرّ لتغرّ، وتفيد لتكيد، كم راقد في ظلّها قد أيقظته، وواثق بها قد خذلته، بهذا الخلق عرفت، وعلى هذا الشرط صوحت. وقال شاعر فأحسن:



كأنك لم تسمع بأخبار من مضى      ولم تر بالباقيين ما صنع الدهر  
فإن كنت لا تدري فتلك ديارهم      عفاها فحال الريح بعدك والقطر  
وهل أبصرت عيناك حياً بمنزل      على الدهر إلا بالعرءاء له قبر  
فلا تحسبن الوفر مالا جمعه      ولكن ما قدمت من صالح وفر  
مضى جامعو الأموال لم يتزودوا      سوى الفقر يا بؤسى لمن زاده الفقر  
فحتام لا تصحو وقد قرب المدى      وحتام لا ينجاب عن قلبك السكر  
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا      وتذكر قولي حين لا ينفع الذكر  
وما بين ميلاد الفتى ووفاته      إذا انتصح الأقسام أنفسهم عمر  
لأن الذي يأتيه شبه الذي مضى      وما هو إلا وقتك الضيق النزر  
فصبراً على الأيام حتى تجوزها      فعمماً قليل بعدها يحمد الصبر

١٢٢. «الدنيا دار ممر لا در مقر، والناس فيها رجالان: رجل باع نفسه فأوبقها، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها».

أوبقها أي أهلكها، وكون الدنيا دار ممر باعتبار أنها طريق إلى الآخرة التي هي دار المقر.

١٢٣. «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر».

من خلا من العمل فقد أخل بالواجبات، ومن أخل بالواجبات فقد فسق، والله تعالى لا يقبل دعاء الفاسق. وشبهه بالرامي بلا وتر، فإن سهمه لا ينفذ. ونحوه قول الرسول ﷺ: أحقق الناس من ترك العمل وتمنى على الله<sup>(١)</sup>.

---

(١) البحار ٨٩: ٢٥٠.

١٢٤ . «الدَّهْرُ يَوْمَانُ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرُ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرِ».

قد ذكر هذا المعنى في كلمات الفصحاء وأشعار الشعراء كثيراً، فمن كلامهم: الدهر يومان: يوم بلاء، ويوم رخاء. والدهر ضربان: حبرة وعبرة. والدهر وقتان: وقت سرور، ووقت ثبور. ومن أشعارهم:  
فيوم علينا ويوم لنا فيوم نساء ويوم نساء  
وقال آخر:  
هي طوراً هجر وطوراً وصال ما أمر الدنيا وما أحلاها  
إلى غير ذلك.

١٢٥ . «الدُّنْيَا خَلَقْتَ لغيرها، ولم تخلق لنفسها».

أي خلقت للاستعداد فيها وبها لدرك ثواب الله في الآخرة، لا ليلتذّبها الجاهلون.

قال أبو العلاء المعريّ مع ما كان يرمى به:

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفساد  
إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد



## حرف الرءاء

١٢٦ . «رأى الشَّيخ أحبَّ إليَّ من جلد الغلام». ويروى: «من

مشهد الغلام».

جلد الغلام: قوَّته . وخصَّ الرأى بالشَّيخ، والجلد بالغلام لأنَّ كلاً منهما مظنةٌ ما خصَّه به، وإنَّما قال: «رأى الشَّيخ أحبَّ إليَّ من جلد الغلام» لأنَّ الشَّيخ كثير التجربة، فيبلغ من العدوِّ برأيه ما لا يبلغ بشجاعته الغلام الحدث غير المجرَّب، لأنَّه قد يغررَّ بنفسه فيهلك ويهلك أصحابه، ولا ريب أنَّ الرأى مقدَّم على الشَّجاعة، ولذلك قال أبو الطَّيِّب:

الرأى قبل شجاعة الشَّجعان هو أوَّل وهي المحلَّ الثاني  
فإذا هما اجتمعَا لنفس مرَّة بلغت من العلياء كلَّ مكان

١٢٧ . «ربَّ عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لم ينفعه».

قال ابن أبي الحديد: قد وقع مثل هذا كثيراً، كما جرى لعبد الله بن المقفَّع، وفضله مشهور، وحكمته أشهر من أن تذكر.

ثمَّ ذكر كيفيَّة قتله، ومجمله أنَّه كان كاتباً لعيسى

وسليمان ابني عليّ بن عبد الله بن عباس، وكتب لعبد الله بن عليّ عمّ المنصور كتاب أمان ليعرض على المنصور، ويوجد فيه خطّه، فكان من جملة: (ومتى غدر أمير المؤمنين بعمة عبد الله، أو أبطن غير ما أظهر، أو تأوّل في شيء من شروط هذا الأمان فنساؤه طواقق، ودوابه حبس، وعبيده وإماؤه أحرار، والمسلمون في حلّ من بيعته).

فاشتدّ ذلك على المنصور، فكتب إلى عامله بالبصرة سفيان بن معاوية يأمره بقتله.

و كيفية قتله أنّه كان سفيان عليه ساخطاً لأنّه قال يوماً له: يا ابن المغتلمة، فدخل ابن المقفّع يوماً على سفيان، وعنده غلمانة وتنور نار يسجر، فقال له سفيان: أتذكر يوماً قلت لي كذا وكذا أمي مغتلمة، إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، ثمّ قطع أعضائه عضواً عضواً، وألقاها في النار وهو ينظر إليها، حتّى أتى على جميع جسده، ثمّ أطبق التنور عليه<sup>(١)</sup>.

١٢٨. «الرّاضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كلّ داخل في باطل إثم: إثم العمل به، وإثم الرضا به». وجه التشبيه اشتراكهم في الرضا به المستلزم للعمل إليه، ونفّر عن الدخول في الباطل بما يلزمه من الإثمين: أحدهما من

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ٢٦٩.

حيث أنه أراد القبيح ، والآخر من حيث أنه فعله .

#### ١٢٩ . «الرحيل وشيك» .

الوشيك: السريع ، والمراد من الرحيل ها هنا الرحيل عن الدنيا وهو الموت . ومن كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كان كثيراً ما ينادي به أصحابه : «تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل ، وأقلّوا العرجة على الدنيا ، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزّاد» .

#### ١٣٠ . «رسولك ترجمان عقلك ، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك» .

قالوا في المثل: الرسول على قدر المرسل . وقال الشاعر:  
تخيّر إذا ما كنت في الأمر مرسلأ فمبلغ آراء الرجال رسولها  
وروّفكّر في الكتاب فإنما بأطراف أقلام الرجال عقولها  
وأما أنّ الكتاب أبلغ من ينطق عنه ، فلضبط مراده فيه دون لسان الرسول ، لأنّه ربّما لم يؤدّ الرسالة على وجهها سهواً أو لغرض ، فيقع الخلل بسبب ذلك ، وربّما قد يكون فيه هلاك المرسل .

#### ١٣١ . «ردّوا الحجر من حيث جاء ، فإنّ الشرّ لا يدفعه إلّا

الشرّ» .

الحجر كناية عن الشرّ ، وردّه من حيث جاء كناية عن مقابلة الشرّ بمثله ، ولا ريب أنّ هذا ليس عامّاً لأمره بالحلم في مواضع كثيرة ، بل كلّ ما لا يقطع إلّا بالشرّ فواجب أن يقطع به .

وهذا مثل قولهم: إن الحديد بالحديد يفلح . قال الشاعر:  
فلَمَّا صرَحَ الشَّرَّ فأمسى وهو عريان  
ولم يبق سوى العدو ن دنأهم كما دانوا  
وبعض الحلم عند الجهل للذئبة إذعان  
وفي الشرّ نجاة حي من لا ينجيك إنسان  
وفي وصايا النبي ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه: «كن ذئباً وإلا أكلتك  
الذئاب» .

١٣٢ . «ربّ مستقبل يوماً ليس بمستدبره، ومغبوط في أول  
ليلة قامت بواكيه في آخره» .  
الغرض التنبيه من رقدة الغفلة والمعنى ظاهر . ومثله قول  
الشاعر:

ياراقد الليل مسروراً بأولّه إنّ الحوادث قد يطرقن اسحارا  
ومثله:  
لا يغرنك عشاء ساكن قد يوا في بالمنيات السحر  
وقال السعديّ:

شخصي همه شب بر سر بيمار گريست  
چون روز آمد ، بمرّد و بيمار بزيست  
وقال آخر:

كم سالم صيحت به بغتة وقائل عهدي به البارحه  
أمسى وأمست عنده قينة وأصبت تندب به النائحه  
طوبى لمن كان موازينه يوم يلاقي ربّه راجحة

١٣٣. «الرَّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تَعَايَنَ مِنْهَا جَهْلٌ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حَسَنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثُّوَابِ عَلَيْهِ غِبْنٌ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ لَهُ عَجْزٌ».

لا ريب أن الطمأنينة إلى من لا يعرف ولم يختبر عجز أي عجز في العقل والرأي، فإن الوثوق مع التجربة فيه ما فيه، فكيف قبل التجربة، قال الطغرائي: «وحسن ظنك بالأيام معجزة»، قال الشاعر:

وكنت أرى أن التجارب عدّة فخانت ثقات الناس حين التجارب

١٣٤. «رَبِّ قَوْلٍ أَنْفَذَ مِنْ صَوْلٍ».

أي قد يبلغ الإنسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصولة، فيكون القول أنفذ في غرضه.

ومن هذا قولهم: والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر. وروي مكان أنفذ، أشدّ. والمعنى: ربّ قول يقوله الإنسان، فيكون ضرره عليه أشدّ من صولة عدوّه، أو ربّ قول يسمعه من غيره كقذف أو هجر مثلاً يكون أشدّ عليه من صولة العدو، وهذا كما قال القائل:

جراحات السنّان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

١٣٥. «الرَّرْزُقُ رَزَقَانٌ: طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا

طَلَبَهُ الْمَوْتَ حَتَّى يَخْرُجَهُ عَنْهَا، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ».

هذا تحريض على طلب الآخرة، ووعده لمن طلبها بأنه سيكفي طلب الدنيا، وإن الدنيا ستطلبه حتى يستوفي رزقه منها. وقد قيل: مثل الدنيا مثل ظلك، كلما طلبته بعد عنك، فإن أدبرت عنه تبعك. ولهذا قال عليه السلام كما في الديوان المنسوب إليه: «إنما الدنيا كظل زائل»

١٣٦. «رب مفتون بحسن القول فيه».

طالما فتن الناس بثناء الناس، فقصرّوا في تكميل الفضائل، كما رأينا كثيراً من طلبة العلم قصرّ في اكتساب العلم اتكالاً على ثناء الناس عليه، وهكذا العابد في عبادته، فينبغي أن لا يغترّ الإنسان بثناء الناس، ولا أعجب بنفسه فيهلك، ولهذا ورد: «احثوا في وجوه المدّاحين التراب»<sup>(١)</sup>.



---

(١) مسند أحمد ٦ : ٥ .



## حرف الزاي

١٣٧. «الزهد كله بين كلمتين من القرآن: قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه». ويناسب هنا نقل كلام له عليه السلام كتبه إلى ابن عباس.

١٣٨. «زهديك في راغب فيك نقصان حظ، وراغبتيك في زاهد فيك ذل نفس». أي نقصان حظ لك، لأنه ليس من حق من رغب فيك أن تزهد فيه، لأن الإحسان لا يكافأ بالإساءة. قال العباس بن الأحنف في نسيبه، وكان جيد النسيب: ما زلت أزهد في مودة راغب حتى ابتليت برغبة في زاهد هذا هو الداء الذي ضاقت به حيل الطبيب وطلال يأس العائد يقول المؤلف العباس بن محمد رضا القميّ (عفي عنه): وما أشبه حالي بحال العباس.



---

(١) الحديد: ٢٢.

## حرف السين

١٣٩. «سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك».

لأن السيئة التي تسوءه مستلزمة للندم والتوبة عليها، والتوبة ماح لها، مع أن التوبة والرجوع إلى الله تعالى فضيلة ندب الشارع لها بخلاف الحسنة المستعقبة للعجب.

١٤٠. «السّخاء ما كان ابتداءً، فإذا كان عن مسألة فحياء

وتذمّم».

التذمّم: الاستكفاف. والسخاء عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقّه بقدر ما ينبغي ابتداءً عن طيب نفس، وحسن الموااساة لذوي الحاجة منه، وبهذا الرسم يتبيّن أنّ ما كان عن مسألة فخارج عن رسم السخاء. وذكر عليه السلام له سببين: أحدها: الحياء من السائل، أو من الناس، فيتكلف البذل لذلك.

الثاني: الاستكفاف ممّا يصدر من السائل من لجاج أو نسبته

إلى البخل ونحوه.

ويعجبني في هذا المقام ذكر هذا الشعر:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال الغنى بسؤال  
وإذا النَّوَالِ إِلَى السَّوَالِ قَرْنَتَهُ رَجَحَ السَّوَالِ وَخَفَّ كُلَّ نَوَالٍ

١٤١. «سوسوا إيمانكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة،  
وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء».

سوسوا: أي املكوا، وذلك أن الصدقة من الإيمان التام  
مملكه وحفظه لا يكون بدونها، وقد ورد في الصدقة والزكاة  
والدعاء ما لا يخفى. وفي الحديث: «إن الدعاء يردّ البلاء وقد أبرم  
إبراماً»<sup>(١)</sup>.

١٤٢. «السّلطان وزعة الله في أرضه».

الوازع عن الشيء: الكاف عنه، والمانع منه، والجمع:  
وزعة، مثل قاتل وقتلة. وقد قيل هذا المعنى كثيراً، قالوا: لا بدّ  
للناس من وزعة.



---

(١) الدعوات للراوندي: ١٧ ح١.

## حرف الشين

١٤٣. «الشَّفيح جناح الطَّالِب».

استعار له لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة له إلى مطلوبه كجناح الطائر .

١٤٤. «شتان بين عمليين: عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره».

شتان بين العمليين: أي بعد ما بينهما . والأول: العمل للدنيا، وتبعته هو ما يتبعه من الشقاوة الآخروية . والثاني: عمل الآخرة، وظاهر أن فيهما فرقاً عظيماً وبوناً بعيداً .

١٤٥. «شاركوا الذين قد أقبل عليهم الرزق، فإنه أخلق للغنى، وأجدر بإقبال الحظ».

أخلق وأجدر: أي أولى . ولما كان إقبال الرزق بتوافق أسبابه في حق من أقبل عليه، كانت مشاركته مظنة إقبال حظ الشريك، وإقبال الرزق عليه بمشاركته .

١٤٦. «شر الإخوان من تكلف له».

أي من أحوج إلى الكلفة له . وذلك لأنّ الإخاء الصادق بينهما  
يوجب الانبساط وترك التكلّف، فإذا احتيج إلى التكلّف له فقد  
دلّ ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق، ومن ليس بأخ صادق فهو  
من شرّ الإخوان .



## حرف الصاد

١٤٧. «الصَّبْرُ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ، وَصَبْرٌ عَمَّا تَحِبُّ». النوع الأول أشقّ من النوع الثاني، لأنّ الأوّل صبر على مضرّة نازلة، والثاني صبر على محبوب متوقّع لم يحصل. سئل بزرجمهر في بليّته عن حاله، فقال: هوّن عليّ ما أنا فيه فكري في أربعة أشياء: أوّلها أنّي قلت: القضاء والقدر لا بدّ من جريانهما، والثاني أنّي قلت: إن لم أصبر فما أصنع، والثالث أنّي قلت: قد كان يجوز أن تكون المحنة أشدّ من هذه، والرابع أنّي قلت: لعلّ الفرج قريب.

١٤٨. «الصَّلَاةُ قَرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ، وَالْحَجُّ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصَّوْمُ، وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ حَسَنُ التَّبَعْلِ». إنّما كان الحجّ جهاد الضعيف لما فيه من مشقّة السفر، ومجاهدة الطبيعة، ومقاومة النفس الأمّارة بالسوء، وخصّ الضعيف بذلك لأنّ للقويّ جهاد آخر هو المشهور. وأمّا أنّ الصوم زكاة البدن، فلما فيه من تنقيص قوّته

وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الآخروي، كما أنّ الزكاة تنقيص في المال مستلزم لزيادة الثواب في الآخرة. وأمّا أنّ جهاد المرأة حسن التبعل، فمعناه حسن معاشرة بعلها وحفظ ماله وعرضه، وطاعته فيما يأمر به وينهى عنه، وترك الغيرة ونحو ذلك. قيل: أوصت امرأة ابنتها وقد أهدتها إلى بعلها فقالت: كوني له فراشاً، يكن لك معاشاً، وكوني له وطاء، يكن لك غطاء، وإياك والإكتئاب إذا كان فرحاً، والفرح إذا كان كئيباً، ولا يطلعن منك على قبيح، ولا يشمنن منك إلا طيب ريح.

#### ١٤٩. «صحة الجسد من قلة الحسد».

معناه أنّ القليل الحسد لا يزال معافى بدنه، والكثير الحسد يمرضه ما يجده في نفسه من مضاضة المنافسة، وما يتجرّعه من الغيظ، ومزاج البدن يتبع أحوال النفس. ولقد أحسن الشيخ الشيرازي:

الاتا نخواهی بلا بر حسود      که آن بخت برگشته خود در بلاست  
چه حاجت که با او کنی دشمنی      که او را چنین دشمنی در قفاست

#### ١٥٠. «صاحب السلطان كراكب الأسد: يغبط بموقعه، وهو

أعلم بموضعه».

أي يتمنى موقعه وهو يعلم أنّه في غاية من المخاطرة بالنفس والتعزير بها. وقريب منه قولهم: صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس، وهو لمركوبه أهيب.

١٥١. «صواب الرأي بالدول: يقبل بإقبالها، ويدبر بإدبارها».

حكى أنه اجتمع بنو برمك عند يحيى بن خالد في آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة، فأداروا بينهم الرأي في أمر فلم يصلح لهم، فقال يحيى: إننا لله ذهبنا والله دولتنا، كنا في إقبالنا يبرم الواحد منا عشرة آراء مشكلة في وقت واحد، واليوم نحن عشرة في أمر غير مشكل، ولا يصح لنا فيه رأي، نسأل الله حسن الخاتمة.





## حرف الضاد

١٥٢. «ضع فخرک، واحطط کبرک، واذکر قبرک».  
قیل لحکیم: ما الشیء الذی لا یحسن أن یقال وإن کان  
فخراً؟ قال: مدح الإنسان نفسه.



## حرف الطاء

١٥٣. «الطَّمع رِقَّ مؤبَّد».

استعار لفظ الرقّ للطمع باعتبار ما يستلزمه من التعبّد للمطموع فيه، والخضوع له كالرقّ، وتأييده باعتبار دوام التعبّد بسببه، فإنّ الطامع دائم العبوديّة لمن يطمع فيه ما دام طامعاً. قال الشاعر:

تعفّف وعش حرّاً ولا تك طامعاً فما قطع الأعناق إلا المطامع  
وفي المثل: أطمع من أشعب، رأى سلالاً يصنع سلّة، فقال له:  
أوسعها. قال: مالك وذاك؟ قال: لعلّ صاحبها يهدي لي فيها شيئاً.  
وقيل: لم يكن أطمع من أشعب إلا كلبه، رأى صورة القمر في  
البئر فظنّه رغيماً، فألقى نفسه في البئر يطلبه، فمات.

١٥٤. «الطَّامع في وثاق الدّل».

قال الشاعر:

واليأس إحدى الراحتين ولن ترى تعباً كظنّ الخائب المكدود  
ومن الكلمات المشهورة قولهم: عزّ من قنع، وذللّ من طمع.



## حرف الظاء

١٥٥ - «الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحسين الأسرار».

الحزم أن يقدم العمل في الحوادث الواقعة في باب الإمكان قبل وقوعها بما هو أقرب إلى السلامة، وأبعد من الغرور. وإجالة الرأي: إعماله. وتحسين الأسرار: كتمانها. أشار إلى المبدأ القريب للظفر وهو الحزم، وإلى البعيد منها وهو كتمان السر، وإلى الوسط منها وهو إجالة الرأي.

قالوا: إذاعة السر من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان، والسبب في أنه يصعب كتمان السر أن للإنسان قوتين: إحداهما آخذة، والأخرى معطية، وكل واحدة منهما تتشوق إلى فعلها الخاص بها، فعلى الإنسان أن يمسك هذه القوة ولا يطلقها إلا حيث يجب إطلاقها.



## حرف العين

١٥٦. «عيبك مستور ما أسعدك جدك».

سعادة الجدّ عبارة عن حسن البخت وتوافق أسباب المصلحة في حقّ الإنسان ومن مصالحه ستر العيوب والردائل، وبحسب دوام ذلك يدوم سترهما. سمع من امرأة من الأعراب ترقص ابناً لها فتقول له: رزقك الله جدّاً يخدمك عليه ذوو العقول، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوي الجدود.

١٥٧. «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى».

العفاف: العفة. وهي فضيلة القوة الشهويّة، والفقير إذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها الطبيعيّة، كملت نفسه بفضيلة العفة، وزان فقره بفضيلته في أعين المعتبرين، وإذا أهملها وأسلس قيادها تقحمت به في موارد الهلكة، وقادته إلى الحرص والهلع، والحسد والمنى والكدية، وحصل بسببها في أقبح صورة. وأنشد الأصمعيّ لبعضهم:

أقسم بالله لمصّ النوى وشرب ماء القلب المالحه

أحسن بالإنسان من ذلك ومن سؤال الأوجه الكالحة  
فاستغن بالله تكن ذا غنى مغتبطا بالصفقة الراجحة  
طوبى لمن يصبح ميزانه يوم يلاقى ربه راجحه  
وقال بعضهم: وقفت على كنيف وفي أسفله كناف، وهو  
ينشد:

وأكرم نفسي عن أمور كثيرة ألا إن إكرام النفوس من العقل  
وأبخل بالفضل المبين على الأولى رأيتهم لا يكرمون ذوي الفضل  
وما شانني كنس الكنيف وإنما يشين الفتى أن يجتدي نائل النذل  
وأقبح ممّابي وقوي مؤملاً نوال فتى مثلي، وأي فتى مثلي  
ونظير قوله عليه السلام: «والشكر زينة الغنى»، قولهم: العلم بغير  
عمل قول باطل، والنعمة بغير شكر جيد عاطل.

#### ١٥٨. «عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار».

القنوط هو اليأس من الرحمة. وورد: الاستغفار دواء  
الذنوب. وحكى عن أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال:  
كان في الأرض أمانان من عذاب الله، فرفع أحدهما، فدونكم  
الآخر فتمسكوا به: أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما  
الأمان الباقي فالاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ  
وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) الأنفال: ٣٣.

قال الرضي رحمته الله: وهذا من محاسن الاستخراج، ولطائف الاستنباط.

١٥٩. «عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة، ويكون غداً جيفة، وعجبت لمن شك في الله، وهو يرى خلق الله، وعجبت لمن نسي الموت، وهو يرى من يموت، وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى، وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء».

تعجّب عليه السلام من ستة هم محلّ العجب، والغرض التنفير عن رذائلهم. قيل: الرزق الواسع لمن لا يستمتع به بمنزلة الطعام الموضوع على قبر. ورأى حكيم رجلاً مثيراً يأكل خبزاً وملحاً، فقال: لم تفعل هذا؟ قال: أخاف الفقر، قال: فقد تعجّلته. وقوله عليه السلام: «عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى» الخ، أي عجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وإعادة الأبدان بعد عدمها مع اعترافه بالنشأة الأولى، وهي الوجود الأوّل للخلق من العدم الصرف، وظاهر أنّ هذا محلّ التعجّب، لأنّ الأخرى أهون، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) الروم: ٢٧.

١٦٠. «عظّم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك».

هذا أمر وجدّه العارفون بالله، فإنّ من عرف عظمة الله وجلاله، ولحظ جميع المخلوقات بالقياس إليه حتّى علم مالها من ذواتها وهو الإمكان والحاجة، علم أنّها في جنب عظمته عدم، ولا أحقر من العدم. وشدّة صغر المخلوق في اعتبار العارف بحسب درجته في عرفانه.

قيل لبعض العارفين: فلان زاهد، فقال، فيماذا؟ فقيل: في الدنيا، فقال: الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فكيف يعتبر الزهد فيها؟ والزهد إنّما يكون في شيء، والدنيا عندي لا شيء.

١٦١. «عليكم بطاعة من لا تعذرون في جهالته».

يمكن أن يكون أراد بالموصول «الله» تعالى، أو أراد به نفسه ﷺ، لأنّه إمام واجب الطاعة بالنصّ، فلا يعذر أحد من المكلفين في جهالة إمامته. وقيل: هو إيجاب لطاعة من يجب طاعته من أئمة الحقّ الذين يجب العلم بحقيّة إمامتهم، ولا يعذر الناس في الجهل بهم لتعلم قوانين الدين وأحكامه منهم.

١٦٢. «عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شرّه بالإنعام عليه».

أي اجعل مكان عتابه بالقول والفعل، الإحسان إليه والإنعام في حقّه، فإنّهما أنفع في دفع شرّه عنك، وعطف جانبه إليك. قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿١﴾ .

١٦٣. «عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله».

يعني أن الحاسد لا يزال مجتهداً في إظهار معائب المحسود وإخفاء محاسنه، فلما كان عجب الإنسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه.

١٦٤. «العجب لغضلة الحساد، عن سلامة الأجساد».

لما كان الغالب أن الحسد إنما يكون بالغنى والجاه، وسائر قينات الدنيا، فترك الحساد الحسد بصحة الجسد مع كونها أكبر نعم الدنيا محلّ التعجب.

١٦٥. «عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم، وحل العقود».

هذا أحد الطرق إلى معرفة الباري سبحانه، وهو أن يعزم الإنسان على أمر، ويصمم رأيه عليه، ثم لا يلبث أن يخطر الله بباليه خاطراً صارفاً له عن ذلك الفعل، ولم يكن في حسابه، أي لولا أن في الوجود ذاتاً مدبرة لهذا العالم لما خطرت الخواطر التي لم تكن محتسبة.

١٦٦. «العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة».

---

(١) فصلت: ٣٤.



«أعذر الله فيه» أي سوَّغ لابن آدم أن يعتذر، يعني أن ما قبل الستين هي أيام الصبا والشبيبة والكهولة، وقد يمكن أن يعتذر الإنسان فيه على اتباع هوى النفس لغلبة الشهوة، وشره الحداثة، فإذا تجاوز الستين دخل في سن الشيخوخة، وذهبت عنه غلواء شهرته، فلا عذر له في الجهل. وقد قالت الشعراء نحو هذا المعنى في دون هذه التي عينها **إيلاً**. قال بعضهم:

إذا ما المرء قصر ثم مرّت عليه الأربعون عن الرجال  
ولم يلحق بصالحهم فدعه فليس بلا حق أخرى الليالي  
وقال الشيخ الشيرازي بالفارسية:

چو دوران عمر از چهل درگذشت مزن دست و پا کابت از سر گذشت  
نزید مرا با جوانان چمید که بر عارضم صبح پیری دمید

١٦٧. «العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا

لم يكن المطبوع».

المراد من المطبوع هو العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضرورية للانتقال منها إلى العلوم المكتسبة والمسموعة من العلماء، فإذا لم يكن هناك استعداد لم ينفع الدرس والتكرار. وقد ذكر الغزالي<sup>(١)</sup> في أقسام العلوم هذين القسمين أيضاً، ثم قال:

---

(١) إحياء علوم الدين ١: ٧٦.

وكلا القسمين قد يسمّى عقلا ، قال علي عليه السلام :  
رأيت العقل عقليين فمطبوع ومسموع  
ولا ينفع مسموع إذا لم ييك مطبوع  
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

١٦٨ . «عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق  
البلاء يكون الرخاء».

الفرجة بفتح الفاء: التفصي من الهمّ، قال الشاعر:  
ربّما تجزع النفوس من الأمل — رله فرجة كحل العقال  
ومن كلامه عليه السلام : إنّ للنكبات غايات . وكان يقال: إذا  
اشتدّ المضيق، اتّسعت الطريق، ويقال أيضاً: توقّعوا الفرج عند  
ارتجاج المخرج .

١٦٩ . «العلم مقرون بالعمل، فمن علم عمل، والعلم يهتف  
بالعمل، فإن أجاب وإلا ارتحل».

إنّ الله تعالى جعل للنفس العاقلة قوتين: علمية وعملية،  
وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين بالعلم والعمل، ولا  
كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل بل هو حجّة على صاحبه،  
وكذلك العكس . قال عليه السلام : قصم ظهري رجلا، عالم متهتك،  
وجاهل متنسك<sup>(١)</sup> .

---

(١) منية المرید للشهيد الثاني: ١٨١ .

١٧٠. «العين حق، والرقي حق، والسحر حق، والطيرة ليست بحق، والعدوى ليست بحق، والطيب نشرة، والعسل نشرة، والركوب نشرة، والنظر إلى الخضرة نشرة».

ويروى: «الغسل نشرة» بالغين المعجمة، أي التطهير بالماء. وفي الحديث: العين حق، ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين. والإصابة بالعين هي أن تستحسن النفس صورة مخصوصة وتتعجب منها، وتكون تلك النفس خبيثة جداً، فينفع جسم تلك الصورة مطيعاً لتلك النفس كما ينفع البدن للسم.

وحكي أن علماء الفرس والهند وأطباء اليونانيين ودهاة العرب وأهل التجربة يكرهون الأكل بين يدي السباع، يخافون عيونها للذي فيها من النهم والشره، ولما ينحلّ عند ذلك من أجوافها من البخار الرديء، وينفصل من عيونها ممّا إذا خالط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده. وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم خوفاً من أعينهم وشدّة ملاحظتهم إيّاهم، وكانوا يأمرّون بإشباعهم قبل أن يأكلوا، وكانوا يقولون في الكلب والسنور إمّا أن يطرد أو يشغل بما يطرح له.

وقالت الحكماء: نفوس السباع أردأ النفوس وأخبثها لفرط شرها وشرها. وعن الكافي مسنداً عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الكلاب من ضعفة الجن، فإذا أكل أحدكم الطعام وشيء منها بين يديه فليطعمه أو ليطرده فإن لها أنفوس

سوء<sup>(١)</sup> .

وعن الأصمعيّ، قال: رأيت رجلاً عيوناً كان يذكر عن نفسه أنّه إذا أعجبه الشيء وجد حرارة تخرج من عينه . وقد حكى من تأثير العين آثار عجيبة، منه ما نقل أنّه سمع عيون صوت بول من وراء جدار حائط، فقال: إنّك كثير الشخب، فقالوا: هو ابنك، فقال: أوه انقطع ظهره فقيل: لا بأس عليه إن شاء الله، فقال: والله لا يبول بعدها أبداً، فما بال حتّى مات . والكلام في كلّ ذلك يخرج عن وضع الكتاب، وقد أطنب الفاضل ابن أبي الحديد في شرحه لهذا الكلام<sup>(٢)</sup>، وذكر حكايات كثيرة تتعلّق بالطير والفأل، ونكتاً ممتّعة من مذاهب العرب وتخيلاتهم وخرافاتهم والأعاجيب الكثيرة من اعتقاداتهم، من أرادها فليراجع ثمة . والنشرة كالعوذة والرقيّة، نشرت فلاناً تنشيراً، أي رقيته وعودته .

١٧١ . «علامة الإيمان أن تؤثّر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فضل عن علمك، وأن تتقي الله في حديث غيرك» .  
ينبغي أن يكون هذا الحكم مقيداً لا مطلقاً، أي إذا كان

---

(١) الكافي للكليبي ٦ : ٥٥٣ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩ : ٣٧٢ .

الضرر غير عظيم، لأنه إذا أضرّ الصدق ضرراً عظيماً يؤدي إلى تلف النفس أو قطع العضو لم يجر فعله صريحاً، ولزمت المعارض حينئذٍ قوله عليه السلام: «وأن تتقي الله في حديث غيرك»، قيل: أراد به أن يحتاط في النقل والرواية فيرويه كما سمعه من غير تحريف.

#### ١٧٢. «العين وكاء الستة».

قال السيد عليه السلام: وهذه من الاستعارات العجيبة، كأنه شبه الستة بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء. وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله، وقد رواه قوم لأمير المؤمنين عليه السلام، وذكر ذلك في المبرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف. وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية. انتهى.

استعار عليه السلام لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الإنسان في يقظته لنفسه من أن يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به، وفي ذلك ملاحظة تشبيه الستة بالوعاء كالقربة. ومن تمام الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «فإذا نامت العينان استطلق الوكاء»<sup>(١)</sup>.



---

(١) مسند أحمد ٤: ٩٧.

## حرف الغين

١٧٣. «الغنى في الغربة وطن، والفقير في الوطن غربة».

قال رجل لسقراط: ما أشدّ فقرك أيّها الحكيم ؟ قال: لو  
عرفت راحة الفقر لشغلك التوجّع لنفسك عن التوجّع لي، الفقر  
ملك ليس عليه محاسبة.

قال بعض الحكماء: ألا ترون ذا الغنى ما أدوم تعب، وأقلّ  
راحت، وأخسّ من ماله حظّه، وأشدّ من الأيام حذره، وأغرى  
الدهر بنقصه وتلمه وقد بعث الغنى عليه من سلطانه العناء، ومن  
أكفائه الحسد، ومن أعدائه البغي، ومن ذوي الحقوق الذمّ، ومن  
الولد الملامة وتمنيّ الفقدان، لا كذي البلغة ففنع فدام له  
السرور.

وقالوا: حسبك من شرف الفقر أنّك لا ترى أحدا يعصي الله  
ليفتقر، أخذه الشاعر فقال:

يا عائب الفقر ألا تزدر عيب الغنى أكبر لو تعتبر  
إنّك تعصي الله تبغي الغنى وليس تعصي الله كي تفتقر

١٧٤. «غيرة الرجل إيمان، وغيرة المرأة كفر».

أما الأول فلأنّ غيرة الرجل يستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجلين في امرأة وذلك إيمان بخلاف المرأة، فلأنّها تقوم بغيرتها في تحريم ما أحلّ الله وهو اشتراك مرأتين فما زاد في رجل واحد، ويقابله بالردّ والإنكار وتحريم ما أحلّ الله وسخطه ما رضيه ردّ عليه وهو لا محالة كفر. وأيضا فإنّ المرأة قد تؤدّي بها الغيرة إلى ما يكون كفراً على الحقيقة كالسحر، فقد ورد في الحديث: أنّه كفر.

١٧٥. «الغنى الأكبر اليأس عمّا في أيدي الناس».

أشار بهذا إلى ذمّ الطمع ومدح الناس، وقد أكثر الناس في هذا المعنى نظماً ونثراً، ومما يروى لعبدالله بن المبارك الزاهد:

قد أرحنا واسترحنا      من غدو ورواح  
وأتصال بأمير      ووزير ذي سماح  
بعفاف وكفاف      وقتوع وصلاح  
وجعلنا اليأس مفتاحاً      حالاً أبواب النجاح

١٧٦. «الغنى والفقر بعد العرض على الله».

أي لا يعدّ الغني غنياً في الحقيقة، إلا من حصل له ثواب الآخرة، ولا يعدّ الفقير فقيراً إلا من لم يحصل له ذلك، فإنّه لا يزال شقياً معذباً، وذلك هو الفقر بالحقيقة. فأما غنى الدنيا وفقرها

عرضيَّان، زوالهما سريع، وانقضاؤهما وشيك .

#### ١٧٧. «الغيبه جهد العاجز».

أكثر ما تصدر الغيبه عن الأعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ أغراضهم، وشفاء صدورهم، فيعدلون إلى إظهار المعاييب لما يجدون فيه من اللذة. ونقر عنها بنسبة فاعلها إلى العجز، وأنها غاية جهده ليأنف من ذلك النقصان ولا يرضى به. قيل للأحنف: من أشرف الناس؟ قال: من إذا حضر هابوه، وإذا غاب اغتابوه.





## حرف الفاء

١٧٨. «فاعل الخير خير منه، وفاعل الشرّ شرّ منه».

وذلك لأنّ الخير والشرّ ليسا عبارة عن ذات حيّة قادرة، وإنّما هما فعلاّن، أو عدمان، أو مختلفان، فلو قطع النظر عن الذات الحيّة القادرة التي يصدران عنها، لما انتفع أحد بهما ولا استضرّ، فالنفع والضرر إنّما حصلّا من الحيّ الموصوف بهما لا منهما على انفرادهما، فلذلك كان فاعل الخير خيراً من الخير، وفاعل الشرّ شرّاً من الشرّ. قال ابن أبي الحديد:

خير البضائع للإنسان مكرمة تنمي وتزكو إذا بارت بضائعه  
فالخير خير وخير منه فاعله والشرّ شرّ وشرّ منه صانعه<sup>(١)</sup>

١٧٩. «فقد الأحبّة غربة».

استعار لفظ الغربة لفقد الأحبّة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة وعدم الأنس. ومثله قوله عائشة: «الغريب من ليس له حبيب».

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ١٤٩.

قال الشاعر:

إذا ما مضى القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب

١٨٠. «فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها».

قال كمال الدين بن ميثم: غير أهلها هم اللئام ومحدثو  
النعمة وساقطو الأصول، وإنما كانت أهون لأن فوتها يستلزم  
غمماً واحداً وأما طلبها إلى غير أهلها فإنها لا تحصل غالباً، فيستلزم  
غمّ فوتها ثم ثقل الاستتكاف والندم من رفعها إليهم، ثم غمّ ذلّ  
الحاجة إلى اللئام وله ألم عظيم، كما قال: الموت أحلى من سؤال  
اللئام. ثم غمّ ردّهم لها، وهي غموم أربعة. وكذلك إن قضيت  
كان فيها غمّ ثقل الاستتكاف، ثم ذلّ الحاجة إليهم فكان فوتها  
أهون على كلّ حال. وهذه الكلمة تجذب إلى فضيلتي القناعة  
وعلوّ الهمة. انتهى<sup>(١)</sup>.

ومن كلامهم: لا تطلبوا الحوائج إلى ثلاثة: إلى عبد يقول:  
الأمر إلى غيري، وإلى رجل حديث الغنى، وإلى تاجر همّته أن  
يستريح في كلّ عشرين ديناراً حبة.

١٨١. «الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمة الله،  
ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله».

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٧٢.

قلّ موضع من الكتاب العزيز يذكر فيه الوعيد إلا ويمزجه بالوعد، مثل أن يقول: «إنه شديد العقاب» ثم يقول: «وإنه لغفور رحيم»، فالفقيه التام في العلم من يعلم فقه وضع الكتاب العزيز وجذب الناس إلى الله بوجوه من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والبشارة والندارة، ولم يكتف مثلاً على قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup> بل على قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### ١٨٢. «الفقر الموت الأكبر».

أما كونه موتاً فلانقطاع الفقير عن مشتهياته ومطلوباته التي هي مادة الحياة، وتألّمه لفقدائها. وأما أنه أكبر فلتعاقب آلامه على الفقير مدة حياته. وأما ألم الموت ففي وقت واحد، وهو مبالغة في شدّته.

#### ١٨٣. «في تقلّب الأحوال، علم جواهر الرجال».

أي في تقلّب أحوال الدنيا على المرء كرفعته بعد اتّضاعه وبالعكس، وكنزول الشدائد به، يعلم جوهره وباطنه من خير وشرّ وجلادة وضعف.

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) الأعراف: ٩٩.

قال الشاعر:

لا تحمدن امرأ حتى تجربيه ولا تذمّنه إلا بتجريب

١٨٤. «في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما

بينكم».

الأقسام الثلاثة كلها موجود في القرآن، فنبأ ما قبلهم أخبار القرون الماضية، وخبر ما بعدهم ذكر أحوال الموت والقيامة والوعد والوعيد وغيرها، وحكم ما بينهم بيان الأحكام الخمسة المتعلقة بأفعالهم.

١٨٥. «الفكر مرآة صافية، والاعتبار منذر ناصح، وكفى أدباً

لنفسك تجنّبك ما كرهته لغيرك».

وفي المثل: كفى بالاعتبار منذراً، وكفى بالشيب زاجراً، وكفى بالموت واعظاً. وقال بعض الحكماء: إذا أحببت أخلاق امرئ فكفه، وإن أبغضتها فلا تكنه. أخذه شاعر فقال:  
إذا أعجبتك خصال امرئ فكفه يكن منك ما يعجبك  
فليس على المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك



## حرف القاف

١٨٦ . «قرنت الهيبة بالخبية، والحياء بالحرمان، والفرصة  
تمرّ مرّ السحاب، فانتهزوا فرص الخير».  
كانت العرب إذا أوفدت وافداً قالت له: إياك والهبية، فإنها  
خبية، ولا تبت عند ذنب الأمر وبت عند رأسه .

١٨٧ . «قدر الرّجل على قدر همّته، وصدقه على قدر  
مروءته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته» .  
اعلم أنّ كبر الهمة خلق مختصّ بالإنسان فقط، وأمّا سائر  
الحيوانات فليس يوجد فيها ذلك، وإنّما يتجرّ أكل نوع منها الفعل  
بقدر وعلوّ الهمة حال متوسّطة بين التفتّح، وهو تأهل الإنسان لما لا  
يستحقّه، وبين دناءة الهمة وهو صغر الهمة أي تركه لما يستحقّه  
لضعف في نفسه . ثمّ اعلم أنّ كبير الهمة من لا يرضى بالهمم  
الحيوانية، ولا يقنع لنفسه أن يكون عند رعاية بطنه وفرجه، بل  
يجتهد في معرفة صانع العالم ومصنوعاته، وفي اكتساب المكارم  
الشرعية ليكون من أولياء الله في الدنيا ومجاوريه في الآخرة .

١٨٨. «قلوب الرجال وحشية، فمن تألفها أقبلت عليه».

جعل <sup>إيشلا</sup> أصل طبيعة القلوب التوحش، وإنما تستمال لأمر من خارج وهو التألف والإحسان. وفي معنى كلامه قولهم: من لان استمال، ومن قسا نفر، وما استعبد الحر بمثل الإحسان إليه.

١٨٩. «القناعة مال لا ينفد».

قال رجل لسقراط الحكيم ورآه يأكل العشب: لو خدمت الملك لم تحتج إلى أن تأكل الحشيش، وقال له الحكيم: وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج أن تخدم الملك. وقد أخذ هذا المعنى شيخنا البهائي، ونظمه بالفارسية في كتاب «نان وحلوا»: نوجواني از خواص پادشاه إلى آخره.

ومن كلام الحكماء: قاوم الفقر بالقناعة، وقاهر الغنى بالتعفف، وطاول عناء الحاسد بحسن الصنع، وغالب الموت بالذكر الجميل. وقال الشاعر:

أنا كالثعبان جلدي ملبسي لست محتاجا إلى ثوب الجمال  
فالخمول العز واليأس الغنى والقنوع الملك هذا ما بدالي

١٩٠. «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

قال الرضي: هذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة. الغرض من هذا الكلام التحريض والترغيب في أعلى ما يكتسب من الكمالات

النفسانية والصناعات ونحوها، فإن أرفع الناس في نفوس الناس منزلة أعظمهم كمالاً، وأنقصهم درجة أحسنهم فيما هو عليه من حرفة أو صناعة ونحو ذلك .

١٩١ و١٩٢ و١٩٣ . «قلّة العيال أحد اليسارين، والتّودّد نصف العقل، والهم نصف الهرم».

اليسار الثاني كثرة المال، يقول عليه السلام : إن قلّة العيال مع الفقر كاليسار الحقيقيّ مع كثرتهم، فإنّ العيال أرضة المال كما في أمثال الحكماء . وأمّا التّودّد، وهو جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والمعاملة بين الناس على الظاهر، وهو نصف العقل أي العقل العمليّ، فلا يحتاج إلى بيان . وأمّا الهمّ نصف الهرم، فلأنّ الهرم إمّا طبيعيّ وإمّا لسبب من خارج وهو الهمّ والحزن والخوف المستلزم له، فهو اذن قسيم للسبب الطبيعيّ للهرم وقسم من أسبابه، فصار بمنزلة النصف له، أي نصف سبب الهرم .

١٩٤ . «قد بصرتهم إن أبصرتهم، وقد هديتم إن اهتديتم، وأسّمعتم إن استمعتم».

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾<sup>(١)</sup> . وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>(٢)</sup> .

---

(١) فصلت: ١٧ .

(٢) البلد: ١٠ .

١٩٥. «قد أضاء الصّبح لذي عينين».

هذا الكلام جار مجرى المثل، ومثله: والشمس لا تخفى عن الأَبصار.

١٩٦ و ١٩٧. «قليل تدوم عليه أرجى (مدوم عليه خير) من

كثير مملول منه».

لا ريب أنّ من أراد حفظ كتاب مثلاً، فحفظ منه قليلاً قليلاً، ودام على ذلك، فإنّ ذلك أنفع له وأرجى لفلاحه من أن يحفظ كثيراً ولا يدوم عليه لماله إيّاه وضجره منه، والتجربة تشهد بذلك. والقول في غير الحفظ كالقول في الحفظ، نحو العطاء اليسير الدائم الذي هو خير من الكثير المنقطع إلى غير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإنّ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى<sup>(١)</sup>. ويعجبني نقل كلام السعدي ولو كان بالفارسيّة ها هنا:

به چشم خویش دیدم در بیابان که آهسته سبق برد از شتابان  
سمند باد پای از تک فرو ماند شتربان همچنان آهسته می راند

١٩٨. «قطع العلم عن المتعلّين».

أي العلم بالدين وما بلغه الرسول ﷺ من البشارة والندارة،

---

(١) نحوه الكافي ٢: ٨٧.



فإن ذلك قاطع لعذر من عساه يقول: إننا كنا عن هذا غافلين،  
ويعلمون أنفسهم بالباطل ويقولون: إن الرب كريم رحيم، فلا  
حاجة لنا إلى إتعاب أنفسنا بالعبادة.

١٩٩. «القلب مصحف البصر».

أي كما أن الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه، كذلك  
إذا أبصر الإنسان صاحبه، فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية الخط الذي  
في المصحف ما يدل الخط عليه. قال الشاعر:  
إن العيون لتبدي في تقلبها ما في الضمائر من ودّ ومن حنق

وقال آخر:

تخبرني العينان ما القلب كاتم وما جنّ بالبغضاء والنظر الشّزر



## حرف الكاف

٢٠٠. «كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب».

ابن اللبون: ابن الناقة الذكر إذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة، وهو لا يكون قد كمل وقوي ظهره على أن يركب، وليس بأثني ذات ضرع فتحلب وهو مطرح لا ينتفع به. وأيام الفتنة هي أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبد الملك وابن الزبير، وفتنة الحجاج وابن الأشعث ونحو ذلك، فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما، بل يجب الجهاد مع صاحب الحق ببذل المال والنفس. وفي الكلام حذف، تقديره: له.

٢٠١. «كن سمحاً ولا تكن مبدراً، وكن مقدرأً ولا تكن مقترأً».

كل كلام جاء في هذا فهو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا ﴿١﴾ . ونحو قوله: ﴿إِنَّ الْمُبَدَّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿٢﴾ . وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ ﴿٣﴾ .

٢٠٢ . «كل معدود منقوض، وكل متوقع آت».

الفقرة الأولى إشارة إلى أنفاس العباد وحركاتهم، والثانية تخويف بما يتوقع من الموت وتوابعه .

٢٠٣ . «كم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له» .  
المستدرج: المأخوذ على غرّة . والإملاء: الإمهال وتأخير المدّة . ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الأمور التي كلّها نعم في الحقيقة، إمّا شكرها أو كفرها، وكان الشكر هو الغاية الخيريّة المطلوبة بالذات نّبّه المبتلى بالنعمة الأولى على وجوب شكرها بأنّه كثيراً ما يستدرج بها فينبغي أن لا يغفل عنها . ونّبّه المبتلى بالثانية على أنّها كثيراً ما يكون سبباً لغرّته باللّه والأمن من مكره فينهمك في المعاصي . ونّبّه الثالث بكون نعمته قد يكون سبباً لفتنته وارتكابه لرديلة العجب بنفسه . ونّبّه الرابع

---

(١) الإسراء: ٢٩ .

(٢) الإسراء: ٢٧ .

(٣) الفرقان: ٦٧ .

بكون نعمته أعظم ما يبتلئ به من النعم .

٢٠٤ . «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش،  
وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء، حبذا نوم  
الأكياس وإفطارهم» .

إنما مدح نوم الأكياس وإفطارهم، لأن الكيس هو الذي  
يستعمل ذكاه وفطنته في طريق الخير وعلى الوجه المرضي  
للشارع، ويضع كل شيء موضعه، ومن كان كذلك كان نومه  
وإفطاره وجميع تصرفاته في عباداته موضوعة موضعها من رضاء الله  
ومحبته بخلاف الجاهلين بالله وبشرائط العبادة، فإن نصيبهم من  
الصيام والقيام ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام . قال تعالى: ﴿عَامِلَةٌ  
نَاصِبَةٌ تَصَلِّي نَاراً حَامِيَةً﴾<sup>(١)</sup> وورد: «رب تال القرآن، والقرآن  
يلعنه»<sup>(٢)</sup> .

٢٠٥ . «كم من أكلة منعت أكالات» .

هذا حق وقد أخذ هذا المعنى بلفظه الحريري، فقال في  
المقامات: رب أكلة هاضت الأكل، منعته مآكل . وأخذ ابن  
العلّاف الشاعر فقال في سنوره الذي يرثيه:

---

(١) الفاشية: ٣-٤ .

(٢) البحار ٨٩: ١٨٤ .

أردت أن تأكل الفراخ ولا يأكلك الدهر أكل مضطهد  
يامن لذيذ الفراخ أوقعه ويحك هلاً قنعت بالغدد  
كم أكلة خامرت حشا شره فأخرجت روحه من الجسد  
والعرب تعير بكثرة الأكل، وتعيب بالجشع والشهه  
والنهم، وقد كان فيها قوم موصوفون بكثرة الأكل، منهم  
معاوية، كان يأكل حتى يستلقي ويقول: يا غلام، ارفع فلأتي  
والله ما شبعت ولكن مللت. قال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهواية كأن في أمعائه معاوية

وكان عبيد الله بن زياد يأكل في اليوم خمس أكالات  
أخراهن خيبة بعسل، ويوضع بين يديه بعد أن يفرغ الطعام عناق أو  
جدي فيأتي عليه وحده. وكان سليمان بن عبد الملك المصيبة  
العظمى في الأكل. حكى أنه دخل الحمام فأطال، ثم خرج  
فأكل ثلاثين خروفاً بثمانين رغيماً، ثم قعد على المائدة فأكل مع  
الناس كأنه لم يأكل شيئاً. ونوادر آثاره في الأكل كثيرة.

وكان الحجاج وهلال بن أشعر المازني وهلال بن أبي بردة  
وعنبسة وميسرة الرأس موصوفين بكثرة الأكل ولهم نوادر  
أوردها ابن أبي الحديد في الشرح<sup>(١)</sup>. وكان أبو الحسن العلاف  
والد أبي بكر العلاف الشاعر المحدث أكولاً، دخل يوماً على

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ٤٠٠ .

الوزير أبي بكر محمد المهلبى، فأمر الوزير أن يؤخذ حماره فيذبح ويطبخ بماء وملح، ثم قدم له على مائدة الوزير، فأكل وهو يظنه لحم البقر، ويستطيعه حتى أتى عليه، فلما خرج ليركب طلب الحمار، فقيل له: في جوفك. وكان أبو العالية أكلوا، نذرت امرأة حامل إن أتت بذكر تشبع أبا العالية خبيصاً، فولدت غلاماً، فأحضرتة، فأكل جفان خبيصاً ثم أمسك وخرج، فقيل له: إنها كانت نذرت أن تشبعك، فقال: والله لو علمت ما شبعت إلى الليل.

٢٠٦. «كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم، فإنه يتسع

به».

الأوعية المحسوسة لما كانت متناهية الاتساع، فمن شأنها أن يضيق بما يجعل فيها، وأوعية العلم معقولة وهي النفوس، وقوة إدراك العلوم فيها غير متناهية، وكل مرتبة من إدراكها تعدد لما بعدها إلى غير النهاية، فبالواجب أن يتسع بالعلم ويزيد بزيادته.

٢٠٧. «كفى بالقناعة ملكاً، وبحسن الخلق نعيماً».

استعار لفظ الملك للقناعة لأن غاية الملك الغناء عن الخلق، والترفع عليهم بذلك. والالتذاذ والقناعة مستلزما لهذه الغايات، وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامها للالتذاذ. وما ورد في فضل القناعة أكثر من أن يحصى.

وسئل عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾<sup>(١)</sup>، فقال: هي القناعة. وذلك لأنه لا ريب أن الحياة الطيبة هي حياة الغنى، والغنى هو القنوع، لأنه إذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلهم حاجة إلى الناس، ولذلك كان الله تعالى أغنى الأغنياء، لأنه لا حاجة به إلى شيء، وعلى هذا دلّ النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «ليس الغنى بكثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس»<sup>(٢)</sup>.

#### ٢٠٨. «الكرم أعطف من الرحم».

أي الكريم بكرمه أعطف على المنعم عليه من ذي الرحم على رحمه، لأن عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد يكون تكافاً وقد لا يكون أصلاً. ومثل هذا قول أبي تمام لابن الجهم:   
إلا يكن نسب يؤلف بيننا      أدب أقمناء مقام الوالد  
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا      عذب تحدر من غمام واحد

#### ٢٠٩ - «كل معاجل يسأل الإنظار، وكل مؤجل يتعلل

بالتسويق».

قال الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ الآية<sup>(٣)</sup>. فهذا

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٩: ٥٥.

(٣) المؤمنون: ٩٩.

سؤال الإنظار لمن عوجل ، فأما من أجل فإنه يعلل نفسه بالتسويق ، ويقول : سوف أتوب ، سوف أقلع عما أنا عليه ، فأكثرهم يخترم من غير أن يبلغ هذا الأمل . وتأتيه المنية وهو على أقبح حال وأسوأها ، ومنهم من تشمله السعادة فيتوب قبل الموت ، وأولئك الذين ختمت عاقبتهم بخير ، وقليل ما هم جعل الله عواقب أمورنا خيراً بمحمد وآله صلوات الله عليهم .

٢١٠ . « كفى بالأجل حارساً » .

استعار له لفظ الحارس باعتبار أن الإنسان لا يهلك ما دام أجله كالحارس . وكان عليه السلام يقول : إن علي من الله جنة حصينة ، فإذا جاء يومي أسلمتني ، فحينئذ لا يطيش السهم ، ولا يبرأ الكلم . وعن مناقب ابن شهر آشوب : كان مكتوباً على درع أمير المؤمنين عليه السلام :

أيّ يومي من الموت أفر يوم لا يقدر أم يوم قدر  
يوم لا يقدر لا أخشى الوغى يوم قد قدر لا يغني الحذر

٢١١ . « الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به ، فإذا تكلمت به صرت

في وثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ، فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة » .

كان يقال : لا خير في الحياة إلا لصموت واع ، أو ناطق محس . وقيل لحذيفة : قد أطلت سجن لسانك ، فقال : لأنه غير مأمون . ومن أمثال العجم : ( زبان سرخ سر سبز می دهد بر باد ) .



٢١٢. «كلّ مقتصر عليه كاف».

هذا من باب القناعة، وإنّ من اقتصر على شيء وقنعت به نفسه فقد كفاه، وقام مقام الفضول التي يرغب فيها المترفون.

٢١٣. «كفأك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك».

وقد قال عليه السلام نظير هذه الكلمة، فراجع به.

٢١٤. «كفأك من عقلك ما أوضح لك سبل غيبك من رشذك».

الغرض من العقل العملي هو ما ذكره عليه السلام، وكفى به.



## حرف الالام

٢١٥ . «لنا حق، فإن أعطيناها، وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال

السرى».

قال السيد الرضى رضى الله عنه: وهذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء، وذلك أن الرديف يركب عجز البعير، كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما. انتهى.

قد فسر كلامه عليه السلام على وجهين: أحدهما أن راكب عجز البعير يلحق مشقة وضراً، وهذا قريب مما فسره الرضى. والثاني أن راكب عجز البعير إنما يكون إذا كان غيره قد ركب على ظهر البعير، وراكب الظهر متقدّم على راكب العجز، فأراد أنا إذا منعنا حقنا تأخرنا وتقدّم غيرنا علينا، فكنا كالراكب رديفاً لغيره، وأكد المعنى على كلا التفسيرين بقوله: «وإن طال السرى» السرى: سير الليل، أي المشقة. وهذا الكلام قاله يوم السقيفة أو في تلك الأيام، وقيل: قاله يوم الشورى.

٢١٦. «لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالضرائض».

هذا الكلام يمكن أن يحمل على حقيقته ويمكن أن يحمل على مجازة، فإن حمل على حقيقته فمعناه: لا يصح التنفل ممن عليه قضاء فريضة فاتته، وهذا مذهب كثير من الفقهاء. وأما إذا حمل على مجازة فإن معناه: يجب الابتداء بالأهم وتقديمه على ما ليس بأهم، نحو أن تقول لمن توصيه: لا تبدأ بخدمة حاجب الملك قبل أن تبدأ بخدمة ولد الملك، فإنك إنما تروم القربة للملك بالخدمة، ولا قربة إليه في تأخير خدمة ولده وتقديم خدمة غلامه.

٢١٧. «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه».

قال الرضي رحمته الله: وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية، ومؤامرة الفكرة، والأحمق تسبق حذفات لسانه، وفتلات كلامه، مراجعة فكره، ومماخضة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحمق تابع للسانه. قال: وقد روي عنه عليه السلام هذا المعنى بلفظ آخر، وهو قوله عليه السلام:

٢١٨. «قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه».

ومعناهما واحد. انتهى.

الكلام في العقل والحمق أكثر من أن يذكر ونحن نذكرها هنا نبذاً يسيراً على حسب دأبنا في هذا الشرح.

قالوا: كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل، فإنه كلما كان أكثر كان أعز وأعلى. وكان عبد الملك يقول: أنا للعاقل المدبر أرجى مني للأحمق المقبل. قيل لبعضهم: العقل أفضل أم الجد؟ فقال: العقل من الجد. وقال أرسطو: العاقل يوافق العاقل، والأحمق لا يوافق العاقل، والأحمق كالعود المستقيم الذي ينطبق على المستقيم، فأما المعوج فإنه لا ينطبق على المعوج ولا على المستقيم. قلت: ومنه قول الطغرائي في «لامية العجم»:

وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوج بمعتدل  
قال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه: إن حمق الرجل يعرف بخصال أربع: طول لحيته، وبشاعة كنيته، ونقش خاتمه، وإفراط نهمته. فدخل عليه شيخ طويل العثون، فقال هشام: أما هذا فقد جاء بواحدة فانظروا أين هو من الباقي، قالوا له: ما كنية الشيخ؟ قال: أبو الياقوت، فسألوه عن نقش خاتمه، فإذا هو: ﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ فقيل له: أي الطعام تشتهي؟ قال: الدباء بالزيت، فقال هشام: إن صاحبكم قد كمل. وأرسل ابن لعجل بن لجيم فرسأ له في حلبة، فجاء سابقاً، فقيل له: سمّه باسم يعرف به، فقام ففقا عينه، وقال: قد سمّيته الأعمور، فقال شاعر بهجوه:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم وأي عباد الله أنوك من عجل  
أليس أبوهم عار عين جواده فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل

وكان عبد الملك بن هلال عنده زنبيل مملوء حصاً للتسبيح ،  
فكان يسبّح بواحدة واحدة ، فإذا ملّ طرح اثنتين اثنتين ، ثمّ ثلاثاً  
ثلاثاً ، فإذا ازداد ملالة قبض قبضة وقال : سبحان الله عددك ، فإذا  
ضجر أخذ بعري الزنبيل وقلّبه ، وقال : سبحان الله بعدد هذا .  
وصف بعضهم إنساناً أحمق ، فقال : والله للحكمة أزلّ عن  
قلبه من المداد عن الأديم الدهين . ومن حمقى العرب وجهلائهم  
كلاب بن صعصعة ، خرج إخوته يشترون خيلاً ، فخرج معهم ،  
فجاء بعجل يقوده ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : فرس اشتريته ، قالوا :  
يا مائق هذه بقرة ، أما ترى قرنيها فرجع إلى منزله فقطع قرنيها ،  
ثمّ قادها ، فقال لهم : قد أعددتها فرساً كما تريدون ، فأولاده  
يدعون بني فارس البقرة . واستعمل معاوية عاملاً من كلب ،  
فخطب يوماً ، فذكر المجوس ، فقال : لعنهم الله ينكحون  
أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت أمي ، فبلغ  
ذلك معاوية ، فقال : قبّحه الله أترونيه لو زادوه فعل وعزله . وشرّد  
بعير لهبّقة واسمه يزيد بن شروان فجعل ينادي : لمن أتى به بعيران ،  
فقيل له : كيف تبذل ويلك بعيرين في بعير فقال : لحلاوة  
الوجدان .

٢١٩ . «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني  
ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني

ما أحببني».

وذلك أنه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي ﷺ، أنه قال: يا علي، لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق. جماتها بالفتح: جمع جمّة، وهي المكان يجتمع فيه الماء. وهذه استعارة لمجتمع المال.

والخيشوم: أقصى الأنف، ومراده الخيال من هذا الفصل إذكار الناس ما قاله فيه رسول الله ﷺ وهو: لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق.

٢٢٠. «لا غنى كالعقل، ولا فقر كالجهل، ولا ميراث كالآدب، ولا ظهير كالمشاورة».

قال بزرجمهر الحكيم: ما ورثت الآباء أبناءها شيئاً أفضل من الأدب، لأنها إذا ورثتها الأدب اكتسبت بالآدب المال، فإذا ورثتها المال بلا أدب أتلفته بالجهل، وقعدت صفرأ من المال والآدب. وكان يقال: عليكم بالآدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجمال في المحفل، وسبب إلى طلب الحاجة. وسيأتي مثل هذا الكلام بعد هذا.

٢٢١. «اللسان سبع، إن خلي عنه عقر».

قالت الحكماء: النطق أشرف ما خص به الإنسان، لأنه صورته المعقولة التي باين بها سائر الحيوانات، ولذلك قال

سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>(١)</sup>، ولم يقل: «وعلمه» بالواو، لأنه سبحانه جعل قوله: «علمه البيان» تفسيراً لقوله: «خلق الإنسان»، لا عطفاً عليه، تبيهاً على أن خلقه له هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهم مرتفعاً لارتفعت إنسانيته، ولذلك قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة، أو صورة ممثلة. قالوا: والصمت من حيث هو صمت مذموم، وهو من صفات الجمادات، فضلاً عن الحيوانات، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام وغيره من العلماء والحكماء في مدح الصمت محمول على من يسيء الكلام، فيقع منه جنایات عظيمة في أمور الدين والدنيا، كما ورد في الخبر: إن الإنسان إذا أصبح قالت أعضاؤه للسانه: اتق الله فينا، فإنك إن استقمتم نجونا، وإن زغت هلكنا.

٢٢٢. «لا تستح من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقل منه». أراد بقوله: أقل منه، أي أحقر بالاعتبار، وهذا نوع من الحث على الإفضال والجود لطيف.

سئل أرسطو: هل من جود يستطيع أن يتناول به كل أحد؟ قال: نعم، أن تنوي الخير لكل أحد.

٢٢٣. «لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً». العدالة هي الخلق المتوسط، وهو محمود بين مذمومين،

---

(١) الرحمن: ٤-٣.

فالشجاعة محضوفة بالتهورّ والجبن، والذكاء بالغباوة والجريزة،  
والجود بالشحّ والتبذير، والحلم بالجمادية والاستشاطة، وعلى  
هذا كلّ ضدّين من الأخلاق فبينهما خلق متوسّط، وهو المسمّى  
بالعدالة، فلذلك لا يرى الجاهل إلاّ مفرطاً وهو الجهل المركّب أو  
مفرطاً وهو الجهل البسيط، كمصاحب الغيرة فهو إمّا أن يفراط  
فيها، فيخرج عن القانون الصحيح فيغار لا من موجب، بل بالوهم  
وبالخيال وبالوسواس، وإمّا أن يفراط فلا يبحث عن حال نسائه ولا  
يبالي ما صنعن، وكلا الأمرين مذموم، والمحمود الاعتدال.

٢٢٤. «لا يستقيم قضاء الحوائج إلاّ بثلاث: باستصغارها

لتعظم، وباستكتمها لتظهر، وبتعجيلها لتهنؤ.»

اشترط في استقامة الحوائج ثلاث شرائط:

أحدها: استصغار قاضي الحاجة لها ليعرف بالسماحة وكبر  
النفس فيعظم عطاؤه ويشتهر.

الثانية: أن يكتمها، فإنّ طباع الناس أدعى إلى إظهار ما  
استكتم، وأكثر عناية به من غيره.

الثالثة: أن يعجلها لتهنؤ، أي لتكون هنيئة، وذلك لأنّ الإبطاء  
بقضاء الحاجة ينغصها على طالبها، فتكون لذتها مشوبة بتكدير  
بطؤها. ولهذا قالوا: وخير الخير ما كان عاجله. وكان يقال:  
المنع أروح من التأخير. وقال خالد بن صفوان: لا تطلبوا الحوائج  
في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلها، ولا تطلبوا ما لستم له



بأهل فتكونوا للمنع خلقاء .

٢٢٥ . « لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه» .  
مثال ذلك إنسان يضيع وقت صلاة الفريضة عليه ، وهو مشغول بمحاسبة وكيه ومخافته على ماله ، خوفاً أن يكون خانه في شيء منه ، فهو يحرص على مناقشته عليه ، فتفوته الصلاة .

٢٢٦ . « لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ، ولا يضارع ، ولا يتبع المطامع» .  
المصانعة: بذل الرشوة ، وفي المثل: من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة . ويضارع: يتعرض لطلب الحاجة ، ويجوز أن يكون من الضراعة ، وهي الخضوع .

٢٢٧ . « لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب ، ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ، ولا قرين كحسن الخلق ، ولا ميراث كالآدب ، ولا قائد كالتوفيق ، ولا تجارة كالعمل الصالح ، ولا زرع كالثواب ، ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ، ولا زهد كالزهد في الحرام ، ولا علم كالتفكير ، ولا عبادة كأداء الفرائض ، ولا إيمان كالحياء والصبر ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم ، ولا عز كالحلم ، ولا مظهرة أوثق من المشاورة» .

أما المال فإنّ العقل أعود منه ، لأنّ الأحمق ذا المال طالما ذهب ماله بحمقه ، فعاد أحمق فقيراً ، والعاقل الذي لا مال له طالما

اكتسب المال بعقله . وأمّا العجب فيوجب المقت ، ومن مقت أفرد  
عن المخالطة واستوحش منه . ولا ريب أنّ التدبير هو أفضل العقل ،  
لأنّ العيش كلّهُ في التدبير .

وأمّا التقوى فقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ  
اتَّقَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> . وأمّا الأدب فقالت الحكماء : ما ورثت الآباء أبناءها  
كالأدب . وأمّا التوفيق فمن لم يكن قائده ضلّ .

وأمّا العمل الصالح ، فإنّه أشرف التجارات ، فقد قال الله  
تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> . ثمّ  
عدّ الأعمال الصالحة . وأمّا الثواب فهو الربح الحقيقيّ ، وأمّا ربح  
الدنيا فشبّهه بحلم النائم . وأمّا الوقوف عند الشبهات فهو حقيقة  
الورع . ولا ريب أنّ من يزهد في الحرام أفضل ممّن يزهد في  
المباحات ، كما مآكل اللذيذة ، والملابس الناعمة .

وقد وصف الله أرباب التفكير فقال : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٣)</sup> وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا ﴾<sup>(٤)</sup> . ولا ريب أنّ  
العبادة بأداء الفرائض فوق العبادة بالنوافل . والحياء مخّ الإيمان ،  
والصبر رأس الإيمان . والتواضع مصيدة الشرف ، وذلك هو

---

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) الصف : ١٠ .

(٣) آل عمران : ١٩١ .

(٤) الأعراف : ١٨٥ .

الحسب . وأشرف الأشياء العلم ، لأنه خاصّة الإنسان ، وبه يقع الفصل بينه وبين سائر الحيوان . والمشورة من الحزم ، فإنّ عقل غيرك تستضيفه إلى عقلك .

ومن كلام بعض الحكماء : إذا استشارك عدوك في الأمر فامحضه النصيحة في الرأي ، فإنّه إن عمل برأيك وانتفع ندم على تفريطه في مناوأتك ، وأفضت عداوته إلى المودّة ، وإن خالفك واستضرّ عرف قدر أمانتك بنصحه ، وبلغت منك في مكروهه .

٢٢٨ . «لأنّسب الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التّسليم، والتّسليم هو اليقين، واليقين هو التّصديق، والتّصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل» .  
حاصل هذا الترتيب يؤول إلى نتاج أنّ الإسلام هو العمل بمقتضى أوامره ، وهو تفسير بخاصّة من خواصّه .

٢٢٩ . «لا يكون الصّديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغييبته، ووفاته» .

النكبة ما تصيب الإنسان من حوادث الدهر ، من قصر ومرض إلى غير ذلك . قال الشاعر :  
وكان أخلائني يقولون مرحبا فلما رأوني مقترامات مرحب

٢٣٠ . «لكلّ امرئ عاقبة حلوة أو مرّة» .

هكذا وجد في كثير من النسخ ، ووجدوا أيضا في بعض

النسخ: «لكلّ أمر» وهو الأليق. وعلى كلّ حال فمعناه ظاهر.

٢٣١. «لكلّ مقبل إديار»، وما أدبر فكأنّ لم يكن».

هذا معنى قد استعمل كثيراً، فمنه:

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

وقول الشاعر:

بقدر العلوّ يكون الهبوط وإيّاك والرتب العالیه

وفي أمثال العجم: «فواره چون بلند شود سرنگون شود». قال

بعض الحكماء: حركة الإقبال بطيئة، وحركة الإديار سريعة،

لأنّ المقبل كالصاعد من مرعاة إلى مرعاة، ومرعاة المدبر

كالمقذوف به من علو إلى أسفل.

٢٣٢. «لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان».

قالت الحكماء: الصبر ضربان: جسمي ونفسي،

فالجسمي تحمّل المشاق بقدر القوة البدنيّة، كالصبر على المشي

ورفع الحجر، والصبر على المرض واحتمال الضرب والقطع،

وليس ذلك بفضيلة تامّة، وأمّا النفسيّ ففيه تتعلّق الفضيلة، وهو

ضربان: صبر عن مشتهى، ويقال له: عفة، وصبر على تحمّل

مكروه أو محبوب. وتختلف أسماءه بحسب اختلاف مواقعه، فإن

كان في نزول مصيبة لم يتعدّ به اسم الصبر، ويضادّه الجزع والهلع

والحزن، وإن كان في محاربة سمّي شجاعة ويضادّه الجبن، وإن

كان في إمساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمّي حلماً،  
ويضادّه الاستشاشة. وإن كان عن فضول العيش سمّي قناعة  
وزهداً، ويضادّه الحرص والشره، إلى غير ذلك.  
فهذه كلّها أنواع الصبر، ولكن اللفظ العريّف واقع على  
الصبر الجسمانيّ، وعلى ما يكون في نزول المصائب، وينفرد  
باقي الأنواع بأسماء تخصّها.

٢٣٣. «للظالم البادي غداً بكفه عضة».

هذا من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>، وإنّما  
قال: «للبادي» لأنّ «من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه».

٢٣٤. «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

قال ابن ميثم: وذلك كالوضوء بالماء [المغصوب]، والصلاة  
في الدار المغصوبة. ويحمل النفي هنا على نفي جواز الطاعة، كما  
هو المنقول عنه وعن أهل بيته عليهم السلام. وعند الشافعيّ: قد يصحّ  
الطاعة والنفي لفضيلتها<sup>(٢)</sup>.

٢٣٥. «لا يعاب المرء بتأخير حقّه، إنّما يعاب من أخذ ما ليس

له».

---

(١) الفرقان: ٢٧.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٢٣٥.

٢٣٦. «اللّجاجة تسلّ الرأى».

أى: تأخذه وتذهب به. وهذا قريب من قوله **إِنِّي لَأَرَى**: «لا رأى لمن لا يطاع»، وذلك لأنّ عدم الطاعة هو اللجاجة، وهو خلق يتركّب من خلقين: أحدهما الكبير، والآخر الجهل بعواقب الأمور.

٢٣٧. «لا خير في الصّمت عن الحكم، كما أنّه لا خير في

القول بالجهل».

هذان طرفا تفريط وإفراط، والحقّ العدل هو النطق بالحكمة وفيه الخير كلّ الخير. وكان يقال: ما الإنسان لولا اللسان إلاّ بهيمة مهيمة، أو صورة ممثّلة.

٢٣٨. «لم يذهب من مالك ما وعظك».

هذا مثل قولهم: إنّ المصائب أثمان التجارب. وفي أمثال العجم: هر ضررى عقلى را زياد مى كند.

٢٣٩. «لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد

يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر ممّا أضاع الكافر، والله يحبّ المحسنين». نهى عن الزهد في المعروف بسبب عدم شكر المحسن إليه.

٢٤٠. «لتعطفنّ الدّنيا علينا بعد شماسها عطف الضّروس

على ولدها»، وتلا عقيب ذلك: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

اسْتَضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»<sup>(١)</sup>.

الشماس: مصدر الشمس الفرس إذا صنع من ظهره،  
والضروس: الناقة السيئة الخلق تعضّ حالبها ليبقى لبنها لولدها،  
وذلك لفرط شفقتها عليه. وهذا إشارة إلى دولتهم في آخر الزمان  
عجل الله فرجهم.

٢٤١. «ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن».

أي من كان عندك ثقة معروفاً بالأمانة، فحكمك عليه  
بالخيانة عن ظنّ خروج عن العدل وهو رذيلة الجور.

٢٤٢. «لو قد استوت قدمي من هذه المداحض لغيرت أشياء».

المداحض: المزالق. واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكّنه  
من إجراء الأحكام الشرعية على وجوهها، وذلك لأنّه في خلافته  
لم يتمكّن من تغيير شيء من أحكام الخلفاء قبله، وكان له في  
بعضها رأي غير ما رأوه، ولهذا قال لقضاته: «اقضوا كما كنتم  
تقضون حتّى يكون للناس جماعة».

٢٤٣. «لا تجعلوا علمكم جهلاً، ويقىنكم شكاً. إذا علمتم

فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا».

أمرهم بالعمل على وفق علمهم، والإقدام على وفق يقينهم،  
ونهاهم عن ترك العمل.

---

(١) القصص: ٥.

٢٤٤ . «ليست الروية مع الإبصار، فقد تكذب العيون أهلها،  
ولا يغش العقل من انتصحه».

هذا تنبيه على وجوب أعمال الفكر فيما ينبغي، وأنّ العقل هو مستند الحواسّ وهو الناقد البصير والناصح الشفيق الذي لا يغشّ من استصحه . «فقد تكذب العيون أهلها» أي قد يكذب الأحكام الوهميّة على مدركات العيون كالحكم بكون القطرة النازلة خطأ مستقيماً، والشعلة التي تدار بسرعة كالدائرة ونحوه .

٢٤٥ . «لو لم يتوعد الله سبحانه على معصيته لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه».

٢٤٦ . «لا تصحب المائق، فإنّه يزيّن لك فعله، ويودّ أن تكون مثله».

المائق: الشديد الحمق، وإنّما يزيّن لك فعله لأنّه يعتقد فعله صواباً بحمقه، فيزيّنه لك كما يزيّن العاقل لصاحبه فعله لاعتقاد كونه صواباً. وقوله **إِيَّائِي**: «ويودّ أن تكون مثله»، وذلك لأنّ كلّ أحد يودّ أن يكون صديقه مثل نفسه في أخلاقه وأفعاله، إذ كلّ أحد يعتقد صواب أفعاله وطهارة أخلاقه ولا يشعر بغيب نفسه، كما تخفى عن العاشق عيوب المعشوق .

٢٤٧ . «لا يصدق إيمان عبد حتّى يكون بما في يد الله سبحانه أوثق منه بما في يده».



هذا كلام في التوكّل . قال بعض العلماء : لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل ، فتضيع أمر آخرتك ، ولا تتال من الدنيا إلا ما كتب الله لك .

٢٤٨ . «لو رأى العبد الأجل ومصيره، لأبغض الأمل وغروره» .

أي لو كان الأجل بصورة سائر محسوس فشاهد العبد سيره به إلى الموت ، وعلم غايته لقطع آماله الدنيويّة ، ولم يغترر بها . وكان يقال : واعجباً لصاحب الأمل الطويل ، وربما يكون كفته في يد النسّاج وهو لا يعلم .

٢٤٩ . «لكلّ امرئ في ماله شريكان : الوارث والحوادث» .

أخذه الرضيّ رضي الله عنه فقال :

خذ تراثك ما استطعت فإنّما شركاؤك الأيّام والوراث لم يقض حقّ المال إلاّ معشر نظروا الزمان يعيث فيه ، فعاثوا ومن كلامه عليه السلام : بشرّ مال البخيل بحادث أو وارث .

٢٥٠ . «للظالم من الرجال ثلاث علامات : يظلم من فوقه

بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة» .

لا بدّ لكلّ ظالم من اجتماع هذه العلامات الثلاث فيه . قال كمال الدين بن ميثم : ظلّمه لمن فوقه عصيان الله وتعديّه لحدوده العادلة ، والثانية مستلزمة للأولى والثالثة مستلزمة للأوليين .

٢٥١. «لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محتملاً».

بهذا المضمون وردت روايات كثيرة. وقال الشاعر:  
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذراً

٢٥٢. «لا تسأل عما لم يكن، ففي الذي قد كان لك شغل».

قال كمال الدين بن ميثم: أمر **عائلاً** بالسلو عما لا يكون من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع من المطالب التي أعطيها الإنسان<sup>(١)</sup>. قلت: يمكن أن يكون لكلامه **عائلاً** معنى آخر، وهو المنع عن المسائل التي لم تقع ولم تتفق، بل السؤال عن المطالب التي اتفقت ووقعت، فإنها أكثر من أن تحصى وكفى بها شغلاً، وهذا ظاهر.

٢٥٣. «لا شرف أعلى من الإسلام، ولا عز أعز من التقوى، ولا معقل أحسن من الورع، ولا شفيح أنجح من التوبة، ولا كنز أغنى من القناعة، ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت. ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبواً خفض الدعة. والرغبة مفتاح النصب، ومطية التعب، والحرص والكبر والحسد دواع إلى التتحم في الذنوب، والشر جامع لمساوي العيوب».

استعار للورع لفظ المعقل باعتبار تحصن الإنسان به من

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥ : ٤١٩ .

عذاب الله . قوله **عَلَيْهِ** : « ولا شفيع . . . » إلى آخره ، وذلك لاستلزام التوبة العفو عن جريمة التائب . «انتظم الراحة» ، أي في سلك الراحة من الهم بطلب الدنيا ومجازبة أهلها . «وتبواً خفض الدعة» ، أي اتخذ لئلين السكون مباءةً ومرجعاً .

«والرغبة مفتاح» ، أي الرغبة في الدنيا تفتح باب التعب على الراغب ، والنصب كتعب لفظاً ومعنى . والتقحم: الدخول بسرعة .

٢٥٤ . «لاتأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله ، لقوله سبحانه: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ولا تياسن لشر هذه الأمة من روح الله لقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يِيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .»

قال كمال الدين بن ميثم: أدب السامع بهذين الأدبين محتجاً بعموم الآيتين ، ولفظ المكر مستعار لإمهال الله ، ثم أخذه فهو في صورة المكر والخداع ، والمراد ظاهر ، انتهى<sup>(٣)</sup> .

٢٥٥ . «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإن الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة» .

---

(١) الأعراف: ٩٩ .

(٢) يوسف: ٨٧ .

(٣) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٢١ .

نهى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول ما لا يعلم، لأنّه كذب أو محتمل للكذب، أو لأنّه قول بالجهل فيجب الاحتراز فيه. وأمّا النهي عن قول كلّ ما يعلم فلجواز أن يكون فيه مضرّة لنفسه أو لغيره كإذاعة سرّ يستلزم أذاه أو أذى من أسره إليه ونحو ذلك. ولهذا قيل: ما كلّ ما يعلم يقال.

٢٥٦. «للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يرمّ فيها معاشه، وساعة يخلّي فيها بين نفسه وبين لذّتها فيما يحلّ ويجمل. وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلاّ في ثلاث: مرمّة لمعاش، أو حظوة في معاد، أو لذّة في غير محرّم».

رمّ المعاش: إصلاحه. والشاخص: أي الراحل والذاهب من بلد إلى بلد. والحظوة: بالحاء المهملة والطاء المعجمة. أي عمل لمعاد وهو العبادة والطاعة.

قسّم عَلَيْهِ السَّلَامُ زمان المؤمن العاقل إلى ثلاثة أقسام بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العمليّة، والرأي الحقّ. قسم في العبادة والمناجات وهو المطلوب بنفسه، وقسم في تحصيل المعاش، وقسم ثالث في تخليته بين النفس ولذّاتها المباحة، وهذان القسمان مرادان للأوّل، إذ لا يمكن بدونهما. وإلى الأمور الثلاثة يرجع قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وليس للعاقل...» إلى آخره.

٢٥٧. «لا تجعلنّ ذرب لسانك على من أنطقك، وبلاغة قولك على من سدّدك».

ذرب اللسان: حدّته، أي قبيح لمن يحصل من إنسان علماً  
وفائدة أن يستعين بها عليه، كأن يتفصح على من علّمه الفصاحة،  
وهذا كمن ينعم على إنسان بسيف، فإنّه يقبح منه أن تقتله بذلك  
السيف ظلماً قبحاً زائداً على ما لو قتله بغيره. قال الشاعر:

أعلّمه الرماية كلّ يوم      فلمّا استدّ ساعده رماني  
وكم علّمته نظم القوائف      فلمّا قال قافية هجاني

٢٥٨. «لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى. بينا

تراه معافى إذا سقم، وبيننا تراه غنياً إذ افتقر».

قد قال الشعراء في هذا المعنى كثيراً، ومنها قول الشاعر:  
وربّ غنيّ عظيم الثراء      أمسى مقلّاً عديماً فقيراً  
وكم بات من مترف في القصور      فعوّض في الصبح عنها القبورا  
وقال آخر:

وإذا ما أمارك الدهر شيئاً      فهو لا بدّ أخذ ما أمارا

٢٥٩. «ليس بلد بأحقّ بك من بلد. خير البلاد ما حملك».

ما حملك أي ما حمل مؤونتك، ووجدت فيه صلاح معاشك  
فأمكنك الإقامة به. قال الشاعر:

لي عن بلاد الأذى والهون متّسع      ما بين حرّ وبين الدار من نسب



## حرف الميم

٢٦٠. «من ضيَّعه الأقرب أتَّيح له الأبعد».

أي من ضيَّعه وخذله قومه وأهله قدَّر لمنفعته ومعونته الأبعد، فإنَّ الإنسان قد ينصره من لا يرجو نصره وإن أهمله أقربوه وخذلوه، فقد تقوم به الأجانِب من الناس، وقد وجدنا ذلك في حقِّ رسول الله ﷺ، ضيَّعه رهطه من قريش وخذلوه، وتمالَّثوا عليه، فقام بنصره الأوس والخزرج، وهم أبعد الناس نسباً منه، لأنَّه من عدنان وهم من قحطان. وقامت ربِعة بنصر أمير المؤمنين ؑ في صفين، وهم أعداء مضر الذين هم أهله ورهطه. وقامت الخراسانية وهم عجم بنصر الدولة العباسية، وهي دولة العرب.

٢٦١. «ما كلُّ مفتون يعاتب».

هذه الكلمة قالها أمير المؤمنين ؑ لسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر لما امتنعوا من الخروج معه لحرب أصحاب الجمل. وقال فيهم أيضاً:

٢٦٢. «خذلوا الحقَّ ولم ينصروا الباطل».

ونظير قوله عليه السلام : «ما كلّ مفتون يعاتب» أو قريب منه قول

أبي الطيّب :

فما كلّ فعّال يجازى بفعله ولا كلّ قوأل لديّ يجاب

وربّ كلام مرّفوق مسامعي كما إنّ في لوح الهجير ذباب

قال ابن ميثم : الفتنة قد تكون في الدين وقد تكون في

الدنيا

وقد تكون فيهما ، وعلى التقديرات فقد تلحق الإنسان

بسبب منه من جهل بسيط أو مركّب وقد تلحقه بأسباب قدرية

خارجية معلومة وغير معلومة . والذي يعاتب على فتنته من هؤلاء

من كانت أسباب فتنته منه أو بعضها كوقوع الفتنة لمصاحبة

الفسّاق ونحوه . هذا إذا حملنا اللفظ على ظاهره ، ويحتمل أن

يريد : ليس كلّ مفتون ينفع معه العتاب <sup>(١)</sup> .

٢٦٣ . «من جرى في عنان أمله عثر بأجله» .

روى أبو سعيد الخدري أنّ أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة

دينار إلى شهر ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ألا تعجبون من أسامة

يشترى إلى شهر إنّ أسامة لطويل الأمل <sup>(٢)</sup> . قال أبو عثمان الهندي :

قد بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة ، فما من شيء إلاّ قد عرفت

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥ : ٢٤٦ .

(٢) مشكاة الأنوار للطبرسي : ١٦١ .

النقص فيه إلا أمني، فإنه كما كان. كما قال الشاعر:  
أراك تزيدك الأيام حرصاً على الدنيا كأنك لا تموت  
فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضيت  
٢٦٤. «من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه».

هذا الكلام حثّ وحضّ وتحريض على العبادة، وله نظائر  
كثيرة.

٢٦٥. وفي رواية أخرى: «من فاتته حسب نفسه لم ينفعه  
حسب آبائه».

كان يقال: أجهل الناس من افتخر بالعظام البالية، وتبجح  
بالقرون الماضية، واتكل على الأيام الخالية. قال الشاعر:  
كن ابن من شئت واكتسب أدباً يغنيك محموده عن النسب  
إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي  
٢٦٦. «من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنقيس  
عن المكروب».

قد جاء في هذا المعنى آثار كثيرة وأخبار جميلة لا يتسع  
لذكره نطاق البيان.

٢٦٧. «ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه،  
وصفحات وجهه».

الفلتة: الأمر يقع من غير تروّ. وصفحة الوجه: بشرته.



وما قاله **إبليس** شهدت به التجربة . قال الشاعر :  
تخبرني العينان ما القلب كاتم وما جنّ بالبغضاء والنظر الشّزر  
٢٦٨ . «من أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالوا فيه ما لا  
يعلمون».

هذا المعنى كثير واسع ولنتقصر على حكاية مختصرة:  
روي عن أبان بن الأحمر أنّ شريك ابن الأعور دخل على معاوية،  
فقال له: والله إنّك لشريك وليس له شريك، وإنك لابن الأعور  
والبصير خير من الأعور، وإنك لدميم والجيد خير من الدميم،  
فكيف سدت قومك؟ قال: إنّك معاوية وما معاوية إلاّ كلبة عوت  
فاستعوت، وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنك لابن  
حرب والسلم خير من الحرب، وإنك لابن أمية وما أمية إلاّ تصغير  
أمة صغّرت فاستصغرت، فكيف صرت أمير المؤمنين؟ فغضب  
معاوية وخرج شريك وهو يقول:

أيشتمني معاوية بن صخر وسيفي صارم ومعني لسانني  
و حولي من ذوي يزن ليوث ضراغمة تهشّ إلى الطعان  
فلا تبسط علينا يا ابن هند لسانك إن بلغت ذرى الأمانني

٢٦٩ . «من أطال الأمل أساء العمل».

لما كان طول الأمل في الدنيا مستلزماً للإقبال عليها  
والانهماك في العمل لها والغفلة عن الآخرة، كان ذلك عملاً سيئاً  
بالنسبة إلى الآخرة. وقد تقدّم منّا كلام في الأمل.

٢٧٠. «المال مادة الشهوات».

كان يقال: ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم: تاجر البحر، والمقاتل بالأجرة، والمرتشى في الحكم، وهو شرهم لأن الأولين ربّما سلما، ولا سلامة للثالث من الإثم.

٢٧١. «من حدّرك كمن بشرك».

هذا مثل قولهم: اتّبِع أمر مبكياتك، لا أمر مضحكاتك. ومثله: صديقك من نهاك، لا من أغراك. وبالفارسيّة يقولون: دوست آن است كه بگرياند، دشمن آن است كه بخنداند. قال الشاعر:

به نزد من آن كس نكو خواه تست كه گوید فلان خار در راه تست  
چه خوش گفّت يك روز دارو فروش شفا بايدت داروی تلخ نوش  
ثمّ اعلم أنّ التحذير هو النصيح، وهو تعريف الإنسان ما فيه  
صلاحه، ودفع المضرة عنه. ومعنى قوله **عَلَيْهِ**: «كمن بشرك»، أي  
ينبغي لك أن تسرّ بتحذيره لك، كما تسرّ لو بشرك بأمر تحبّه،  
وأن تشكره على ذلك، كما تشكر لو بشرك بأمر تحبّه، لأنّه لو  
لم يكن يريد بك الخير لما حدّرك من الوقوع في الشرّ.

٢٧٢. «المرأة عقرب حلوة اللسبة».

استعار للمرأة لفظ العقرب باعتبار أنّ من شأنها الأذى،  
لكن أذاها مشوب بما فيها من اللذة بها، وهو كأذى الجرب  
المشوب بلذّته في زيادة حكّته. اللّسبة: اللّسعة، لسبته العقرب

بالفتح ولسبت العسل بالكسر: لعقته .

ومنه قولهم: من الفواقر امرأة سوء إن حضرتها لسبتك ،  
وإن غبت عنها لم تأمنها . قد أكثروا القول في ذم النساء ، ولا  
يناسب كتابنا الطويل .

نظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة ، فقال: ليت كل  
شجرة تحمل مثل هذه الثمرة . كتب فيلسوف على باب داره: ما  
دخل هذا المنزل شرّ قطّ ، فقال بعضهم: اكتب: إلا المرأة . وفي  
كلام الحكماء: اعص هواك والنساء ، وافعل ما شئت . وفي  
الحديث: المرأة ضلع عوجاء إن داريتها استمتعت بها ، وإن رمت  
تقويمها كسرتها . قال الشاعر في هذا المعنى:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها    ألا إن تقويم الضلوع انكسارها  
أجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى    أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

ومن كلامهم: ليس ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة إلا بعد  
موتها . وفي الأمثال: لا تحمدن أمة عام شرائها ، ولا حرّة عام بنائها .  
وكان يقال: ما نهيت امرأة عن أمر إلا آتته . وقال حكيم: أضرّ  
الأشياء بالمال والنفوس والدين والعقل والعرض شدة الإغرام بالنساء ،  
ومن أعظم ما يبطل به المغرم بهنّ أنّه لا يقتصر على ما عنده منهنّ ولو  
كنّ ألفاً ، ويطمح إلى ما ليس له منهنّ . وقال بعض الحكماء: من  
يحصي مساوي النساء ، اجتمع فيهنّ نجاسة الحيض والاستحاضة ،  
ودم النفاس ، ونقص العقل والدين ، وترك الصوم والصلاة في

كثير من أيام العمر، ليست عليهن جماعة ولا جمعة، ولا يسلم عليهن، ولا يكون منهن إمام ولا قاض ولا أمير، ولا يسافرن إلا بولي. قلت: وكفى في هذا المقام كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «معاشر الناس إن النساء...».

٢٧٣ - «من نصب نفسه للناس إماماً فعليته أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم».

اعلم أن الفروع تابعة للأصول، فإذا كان الأصل معوجاً استحال أن يكون الفرع مستقيماً، كما قال صاحب المثل: «وهل يستقيم الظلّ والعود أعوج»، فمن نصب نفسه للناس إماماً، ولم يكن قد علم نفسه ما انتصب ليعلمه الناس، كان مثل من نصب نفسه ليعلم الناس الصياغة والنجارة، وهو لا يحسن أن يصوغ خاتماً، ولا ينجر لوحاً، وهذا نوع من السفه، بل السفه كله.

ثم قال عليه السلام: وينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله وسيرته قبل تأديبه لهم بلسانه، وذلك لأنّ الفعل أدلّ على حال الإنسان من القول، والطباع لمشاهدة الأفعال أطوع وأسرع انفعالاً منها للأقوال. ولهذا قال بعض الخلفاء: أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّل. ثم رغب في تأديب النفس بكون مؤدّب نفسه أحقّ بالتعظيم والإجلال من مؤدّب غيره، لأنّ من علم نفسه محاسن الأخلاق أعظم قدراً ممّن تعاطى تعليم الناس ذلك وهو غير عامل

بشيء منه .

٢٧٤ . «من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله» .

ترك هذا القول كناية عن القول بغير علم ، وإصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والإضلال ، وربما يكون بسببه هلاك الدنيا والآخرة .  
جاءت امرأة إلى بزرجمهر ، فسألته عن مسألة ، فقال : لا أدري ، فقالت : أيعطيك الملك كل سنة كذا وكذا وتقول : لا أدري ، فقال : إنما يعطيني الملك على ما أدري ، ولو أعطاني على ما لا أدري لما كفاني بيت ماله . وكان يقول : «لا أعلم» نصف العلم .

٢٧٥ . «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه ، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ» .

مثل الكلمة الأولى قولهم : رضا المخلوقين عنوان رضا الخالق . والسري في ذلك أن رضا الخالق يكون بالتقوى ، ومن تقوى العبد إصلاح قوتى الشهوة والغضب اللذين هما مبدء الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما ، فإذا جانب العبد من الفساد بين الناس رضي الناس عنه .

و إلى مفاد الكلمة الثانية أشار بعض من دعا في قوله :

أنا شاكر أنا مادح أنا حامد أنا خائف أنا جائع أنا عار  
هي ستة وأنا الضمير بنصفها فكن الضمير بنصفها يا باري

ومثل الكلمة الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا  
وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢٧٦. «مثل الدنيا كمثلي الحياة لئن مسها، والسّم النّاقع في  
جوفها، يهوي إليها الغرّ الجاهل، ويحذرها ذو اللبّ العاقل».

قد أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

إنّما الدهر أرقم ليّن المسّ وفي نابيه السّقام العقام

٢٧٧. «من قصر في العمل ابتلي بالهمّ، ولا حاجة لله فيمن

ليس لله في ماله ونفسه نصيب».

قوله عليه السلام: «من قصر في العمل»، هذا مخصوص بأصحاب

اليقين، والاعتقاد الصحيح، فإنهم الذين إذا قصرّوا في العمل

ابتلوا بالهمّ، فأما غيرهم من المسرفين على أنفسهم وذوي النقص

في اليقين والاعتقاد، فإنه لا همّ يعرفهم وإن قصرّوا في العمل.

وقال ابن ميثم: المقصرّ في العمل لله يكون غالب أحواله

متوقراً على الدنيا مفراطاً في طلبها وجمعها، وبقدر التوقر عليها

يكون شدة الهمّ في جمعها وتحصيلها أولاً، ثمّ في ضبطها والخوف

على فواتها ثانياً.

---

(١) النحل: ١٢٨.

وفي المشهور: «خذ من الدنيا ما شئت ومن الهم ما ضعفه». فنفر عليه السلام عن التقصير في الأعمال البدنية والمالية بقوله: ولا حاجة لله . . إلى آخره. وكنتى بعدم حاجته فيه عن إعراضه عنه وعدم النظر إليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك<sup>(١)</sup>.

٢٧٨. «من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً: من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أعطي الشكر لم يحرم الزيادة».

قال الرضي: وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه، قال في الدعاء: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال في الاستغفار: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال في الشكر: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾<sup>(٤)</sup>. وقال في التوبة: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً﴾<sup>(٥)</sup>. الأمور الأربعة الأولى إذا كانت بإخلاص كان كل منها سبباً في

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥ : ٢١٠.

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) النساء: ١١٠.

(٤) إبراهيم: ٧.

(٥) النساء: ١٧.

إعداد النفس لقبول صورة الرحمة الإلهية من واهبها .

٢٧٩ . «ما عال من اقتصد». أي: ما افتقر من أنفق بقدر الحاجة المتعارفة، وذلك لأن قدر الحاجة من المال قد تكفل الله تعالى بإداره مدّة البقاء وهو ما لا بدّ للمقتصد منه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>(١)</sup> .

٢٨٠ . «المرء مخبوء تحت لسانه».

أي حاله مستور عند عدم نطقه، وتحت لسانه كناية عن سكوته، وذلك لأنّ مقداره بمقدار عقله ومقدار عقله يعرف من مقدار كلامه . وهذه اللفظة لا نظير لها في الإيجاز والدلالة على المعنى، وهي من ألفاظه المعدودة . وإليه أشار السعديّ في نظمه بالفارسيّة:

تا مرد سخن نگفته باشد عیب و هنرش نهفته باشد

٢٨١ . «ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة».

لما كانت الدعوة إمّا إلى الحقّ أو إلى غيره، وكان كلّ ما عدا الحقّ ممّا يدعى إليه فهو ضلال عن الحقّ وعدول عن سبيل الله، لا جرم لم يختلف دعوتان إلا كانت إحداهما حقّاً والأخرى ضلالة .

---

(١) الفرقان: ٦٧ .



٢٨٢. «ما كذبت ولا كذبت، ولا ضللت ولا ضلّ بي».

هذه كلمة قد قالها مراراً، إحداهنّ في وقعة النهروان. ولا كذّبت بالضمّ أي لم يخبرني رسول الله ﷺ عن المخدج خبيراً كاذباً، لأنّ أخباره ﷺ كلّها صادقة.

٢٨٣. «من أبدى صفحته للحقّ هلك».

أي: من نابذ الله وحاربه هلك، يقال لمن خالف وكاشف: قد أبدى صفحته.

٢٨٤. «ما شككت في الحقّ منذ أريته».

أي: منذ أعلمته، ويجب أن يقدرّ ها هنا مفعول محذوف، أي منذ أريته حقاً، لأنّ «أرى» يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل.

٢٨٥. «من وضع نفسه مواضع التّهمة فلا يلومنّ من أساء به الظنّ».

لأنّه هو السبب في إساءة الظنّ بنفسه. قال ابن أبي الحديد: رأى بعض الصحابة رسول الله ﷺ واقفاً في درب من دروب المدينة ومعه امرأة فسلمّ عليه، فردّ عليه، فلمّا جاوزه ناداه فقال: هذه زوجتي فلانة، قال: يا رسول الله، أوفيك يظنّ، فقال: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم<sup>(١)</sup>.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ٢٨٠.

٢٨٦ و ٢٨٧. «من ملك استأثر، ومن استبد برأيه هلك، ومن

شاور الرجال شاركهم في عقولهم».

هذه ثلاث كلمات، [أريد] بالأولى: أن الأغلب في كل ملك أن يستبد ويستأثر على الرعية بالمال والعزّ والجاه، وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لقواهم الأمارة بالسوء. ونحو هذا المعنى قولهم: من غلب سلب، ومن عزّ بزّ. وأريد بالثانية: أن من انفرد برأيه، ولم يقبل النصيحة فهو في مظنة الهلاكة، وذلك معلوم. وبالثالثة: الترغيب في الاستشارة، وذلك لأنه يستنتج منها الرأي الأصح ليعمل به. قالوا: المشورة لقاح العقول، ورائد الصواب. ومن ألفاظهم البديعة: ثمرة رأي المشير أحلى من الأري المشور<sup>(١)</sup>.

٢٨٨. «من كتم سرّه كانت الخيرة بيده».

أي كان مختاراً في إذاعته وكتمانه بخلاف من أذاع سرّه، فإنه لا يتمكّن بعد ذلك من كتمانه. قال الشاعر:  
فلا تفش سرّك إلا إليك فإن لكل نصيح نصيحا

٢٨٩. «من قضى حقّ من لا يقضي حقّه فقد عبّده».

عبّده بالتشديد أي: اتّخذه عبداً، والمقصود مدح من يقضي حقّ من لا يقضي حقّه، أي من فعل ذلك بإنسان فقد استعبد ذلك

---

(١) الأري المشور: أي العسل المستخرج.

الإنسان ، لأنه لم يفعل ذلك معه مكافأة له عن حقّ قضاءه إياه ، بل فعل ذلك إنعاماً مبتدأً ، فقد استعبده بذلك .

٢٩٠ . «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ» .

لا شكّ أنّ المتصفّح لوجوه الآراء والمفكّر في أيّها أصوب لابدّ أن يعرف مواقع الخطأ في الأمور ومظانّها ، وهو ترغيب في الاستشارة والفكر في استصلاح الأعمال .

٢٩١ . «من أحدّ سنان الغضب لله قوي على قتل أشدّاء

الباطل» .

هذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمعنى أنّ من أرفه عزمه على إنكار المنكر ، وقوي غضبه في ذات الله ، ولم يخف مخلوقاً أعانه الله على إزالة المنكر وإن كان قوياً .

٢٩٢ . «من لم ينجحه الصبر أهلكه الجزع» .

يحتمل أن يريد بالهلاكة هلاكة الدنّيا أو هلاكة الآخرة أو كليهما ، فإنّ الجزع سبب لكلّ ذلك .

٢٩٣ . «متى أشفي غيظي إذا غضبت؟ أحين أعجز عن

الانتقام فيقال لي: لو صبرت أم حين أقدر عليه، فيقال لي: لو عفوت» .

هذا الفصل فصيح لطيف المعنى ، أي لا سبيل لي إلى شفاء غيظي عند غضبي ، لأنّي إمّا أن أكون قادراً على الانتقام فيصدّني

عن تعجيله قول القائل: لو عفوت لكان أولى، وإمّا أن لا أكون قادراً فيصدني عنه كوني غير قادر عليه.

٢٩٤ . «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم».

قد جاء في الحديث: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. قوله عَلَيْكُمْ: «ومن خاف أمن» أي من اتقى الله أمن من عذابه. «ومن اعتبر أبصر» أي من قاس الأمور بعضها ببعض، واتعظ بآيات الله وآياته أضاءت بصيرته، ومن أضاءت بصيرته فهم، ومن فهم علم. والفهم ها هنا معرفة المقدمات، والعلم هو معرفة النتيجة.

٢٩٥ . «من لان عوده كثفت أغصانه».

تكاد هذه الكلمة أن تكون إيحاء إلى قوله تعالى: وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ <sup>(١)</sup>. والمعنى أن من حسن خلقه، ولانت كلمته كثر محبوه وأعدائه وأتباعه. ونحوه قوله: من لانت كلمته، وجبت محبته.

قال تعالى: وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ <sup>(٢)</sup>، والأصل في الكلمة أنه إذا كان اليبس غالباً على شجرة كانت أغصانها أخف، وكان عودها أدق، وإذا كانت

---

(١) الأعراف: ٥٨ .

(٢) آل عمران: ١٥٩ .

الرطوبة غالبية كانت أغصانها أكثر، وعودها أغلظ، وذلك لاقتضاء اليبس الذبول، واقتضاء الرطوبة الغلظ والعبالة والضخامة، ألا ترى أن الإنسان الذي غلب اليبس على مزاجه لا يزال مهلوساً نحيفاً، والذي غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضخماً عبلاً.

٢٩٦. «من نال استطال».

يجوز أن يريد به: من أثرى ونال من الدنيا حظاً استطال على الناس. ويجوز أن يريد به: من جاد استطال بجوده. يقال: نالني فلان بكذا، أي جاد به عليّ، ورجل نال أي جواد.

٢٩٧. «من أشرف أفعال الكريم غفلته عما يعلم».

أي تغافله وإغضاؤه عما يعلم من معائب الناس، ومن هفواتهم.

وكان يقال: التغافل من السؤدد. وقال أبو تمام:  
ليس الغبيّ بسيد في قومه لكنّ سيّد قومه المتغابي

٢٩٨. «من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه».

قيل: الحياء انقباض النفس عن القبائح، وهو من خصائص الإنسان، وهو خلق مركّب من جبن وعفة، ولذلك لا يكون الفاسق مستحياً، ولا المستحي فاسقاً. وقلمّا يكون الشجاع مستحياً والمستحي شجاعاً، ولعزة وجود ذلك ما يجمع الشعراء بين

المدح بالشجاعة والحياء .

٢٩٩ . «من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به، فإنما يشكو ربّه، ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه، ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً، ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلاث: هم لا يغبه، وحرص لا يتركه، وأمل لا يدركه».

قيل في قوله **التَّاط**: «ومن أتى غنياً . . .» إلى آخره وجوهاً، منها: أن مدار الدين على الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان، ومن شأن المتواضع للغني لغناه اشتغال لسانه بمدحه وشكره، واشتغال جوارحه بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره، فهو مهمل لثلاثي دينه .

قوله **التَّاط**: «التاط بقلبه» أي لصق . و«لا يغبه»، أي لا يأخذه غباً وهو يوم ويوم لا بل يلازمه دائماً، وذلك لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، وحب الدنيا هو الموجب للهم والغم والحرص والأمل والخوف على ما اكتسبه أن ينفذ، والشح بما حوت يده، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة .

٣٠٠ . «من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة».

قال الرضي رضي الله عنه: ومعنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيراً فإن الله تعالى يجعل

الجزاء عليه عظيماً كثيراً، واليدان ها هنا عبارة عن النعمتين،  
ففرق بين نعمة العبد ونعمة الربّ تعالى ذكره بالقصيرة والطويلة،  
فجعل تلك قصيرة وهذه طويلة، لأنّ نعم الله أبداً تضعف على نعم  
المخلوقين أضعافاً كثيرة، إذ كانت نعم الله أصل النعم كلّها،  
فكلّ نعمة إليها ترجع، ومنها تنزع.

٣٠١. «المرأة شرّ كلّها، وشرّ ما فيها أنّه لا بدّ منها».

أي أنّ أحوالها كلّها شرّ على الرجل، أمّا من جهة مؤذنتها  
فظاهر، وأمّا من جهة لذتها واستمتاعه بها فلاستلزام ذلك، البعد  
عن الله والاشتغال عن طاعته. وأسباب الشرّ شرور وإن كانت  
غرضية، ولما كان كونها لا بدّ منها، أعني وجوب الحاجة إليها في  
طبيعة الوجود الدنيويّ هو السبب في تحمّل الرجل للمرأة، ووقوعه  
في شرورها وجب أن يكون ذلك الاعتبار أقوى الشرور المتعلّقة  
بها، لأنّ السبب أقوى من المسبّب.

٣٠٢. «من أطاع التّواني ضيّع الحقوق، ومن أطاع الواشي  
ضيّع الصّديق».

الواشي: النّمام.

٣٠٣. «من ظنّ بك خيراً فصدّق ظنّه».

من كلام بعضهم: إنّي لأستحيي أن يأتيني الرجل يحمرّ  
وجهه تارة من الخجل، ويصفرّ أخرى من خوف الردّ قد ظنّ بي

الخير ويات عليه وغدا عليّ أن أردّه خائباً.

٣٠٤ . «مرارة الدنّيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنّيا مرارة الآخرة».

لما كانت الدنيا ضدّ الآخرة وجب أن يكون مرارة آلام الدنيا اللازمة عن ترك اللذّة طلباً للآخرة مستلزماً لحلاوة الآخرة ولذاتها، وكذلك العكس .

٣٠٥ . «من تذكر بعد السفر استعدّ».

٣٠٦ . «ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبأ له الدهر يوم سوء».

أي: ما استحسن الناس من الدنيا شيئاً إلا وفي قوّة الدهر إعداد لفساده وإهلاكه يوماً ما . وقد شاهدنا ذلك في الدنيا كثيراً .

٣٠٧ . «ما أكثر العبر وأقلّ الاعتبار».

ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها، ولا ريب أن العبر كثيرة جداً، بل كلّ شيء في الوجود ففيه عبرة، ولا ريب أنّ المعتبرين بها قليلون، وأنّ الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى، وأرداهم حبّ الدنيا، وأسكّرهم خمرها، وأنّ اليقين في الأصل ضعيف عندهم، ولو لا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال .



٣٠٨ . «من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم، ولا يستطيع أن يتقي الله من خصم».

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر: الغالب بالشر مغلوب . وكان يقال: ما تساب اثنان إلا غلب الأملهما . وقد نهى العلماء عن الجدل والخصومة في الكلام والفقهاء، وقالوا: إنهما مظنة المباحة وطلب الرئاسة والغلبة، والمجادل يكره أن يقهره خصمه، فلا يستطيع أن يتقي الله . وهذا هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه .

٣٠٩ . «ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين وأسأل الله العافية».

أي: ما أحزنني ذنب أمهلتني الله بعده حتى أصلي ركعتين، لأن الصلاة تكفر الذنب .

قال السيد الطباطبائي رحمته الله في «الدرّة»:

وإنها للحسنات المذهبة للسيئات والمعاصي الموجبة  
وشأنها كشأن نهر جار تقلع رين الذنب بال تكرار  
تنهى عن المنكر والفحشاء اقصر فذاك منتهى الشاء

٣١٠ . «ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء، بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء».

أي إنهما سواء في الحاجة إلى دعاء الله، فذاك لحاجته إلى الخلاص من بلائه، وهذا لبقاء عاقبته وأمنه من لحوق البلاء . وهو

حثّ لأهل العافية على الدعاء والتضرّع إلى الله تعالى .

٣١١ . «ما زنى غيور قطّ» .

وذلك لأنّ الغيور إذا همّ بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه من الغير ، فيعارض خياله داعيه فيحجم عنه . فقد ورد : من زنى زني به ولو في عقب عقبه . وهذا قد جرّب فوجد حقاً ، وقلّ من ترى مقداماً على الزنا إلا والقول في حرمه وأهله وذوي محارمه كثير فاش .

٣١٢ . «مودّة الآباء قرابة بين الأبناء، والقرابة أحوج إلى المودّة من المودّة إلى القرابة» .

استعار لفظ القرابة للمودّة المتأكّدة بين الأبناء فهي كالقرابة .

قال الشاعر :

أبقى الضغائن آباء لنا سلفوا      فلن تبيد وللآباء أبناء  
وورد : الحبّ والبغض يتوارثان . ومن كلام بعضهم ، لما قيل له : أيما أحبّ إليك ؟ أخوك أم صديقك ؟ فقال : إنّما أحبّ أخي إذا كان صديقاً . فالقربى محتاجة إلى المودّة ، والمودّة مستغنية عن القربى .

٣١٣ . «ما ظفر من ظفر الإثم به، والغالب بالشرّ مغلوب» .

هذا مثل قوله **عَلَيْهِ** : من بالغ في الخصومة أثم . إلى آخره .

٣١٤. «المسؤول حرّ حتى يعد».

قد كثر القول في الوعد والمطل . ومن كلام يحيى بن خالد لبنيه: يا بني، كونوا أسداً في الأقوال، نجّازاً في الأفعال، ولا تعدوا إلا وتجزوا، فإن الحرّ يثق بوعد الكريم، وربما آدان عليه.

٣١٥. «معاشر الناس، اتقوا الله، فكم من مؤمل ما لا يبلغه، وبان ما لا يسكنه، وجامع ما سوف يتركه، ولعله من باطل جمعه، ومن حقّ منعه، أصابه حراماً، واحتمل به أثاماً، فباء بوزره، وقدم على ربه، أسفاً لاهفاً، قد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين».

معاني هذه الفقرات واضحة، وكم قد شاهدنا من أمل ما لا يبلغه، ومن بنى ما لا يسكنه، وجمع ما تركه . ولقد أحسن من قال:

وا حسرتا مات حظي من وصالكم وللحظوظ كما للناس آجال  
إن مت شوقاً ولم أبلغ مدى أمني كم تحت هذي القبور الخرس آمال

٣١٦. «من العصمة تعذر المعاصي».

أي من أسباب العصمة، وذلك لأن الإنسان يتعود بتركها حين لا يجدها حتى يصير ذلك ملكة له .

٣١٧. «ماء وجهك جامد يقطره السؤل، فانظر عند من تقطره».

قد أخذ الشعراء معنى هذا الكلام، وذكروها في

أشعارهم . قال الشاعر:

ما ماء كفيك إن أرسلت مزنته من ماء وجهي إذا استقطرته عوض

٣١٨ . «من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن

رضي برزق الله لم يحزن على ما فاتته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن كابد الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق، ومن دخل مداخل السوء اتهم، ومن كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار، ومن نظر في عيوب غيره فأنكرها، ثمّ رضيها لنفسه، فذلك الأحمق بعينه. والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أنّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه».

تلك عشرة كاملة، رابعها: «من كابد الأمور عطب، ومن اقتحم اللجج غرق»، أي من قاساها بنفسه استعداداً بها للهلاك. مثل هذا قول القائل:

من حارب الأيام أصبح رمحه قصداً وأصبح سيفه مفلولا  
وسادسها: «من كثر كلامه . . . إلى قوله: دخل النار»، هذا تنفير عن المنطق الزائد، وما فيه من المحذور.

وكان يقال: قلّما سلم مكثار، أو آمن من عثار. وعاشرها: من علم أنّ كلامه . . . إلى آخره، لا ريب أنّ الكلام عمل من الأعمال، وفعل من الأفعال، فكما يستهجن من الإنسان أن لا يزال يحرك رأسه أو يده وإن كان عابثاً، كذلك يستهجن أن لا يزال يحرك لسانه فيما هو عبث، أو يجري مجرى العبث.

٣١٩ . «من ضنّ بعرضه فليدع المرء».

ضنّ أي بخل، وحدّ المرء الجدال المتّصل لا يقصد به الحقّ، ولا ريب أنّ المرء داعية ثوران القوّة الغضبيّة، من الممارين ومبدء المشاتمة والمسابّة. قيل لميمون بن مهران: مالك لا تفارق أخاك عن قلى ؟ قال: لأنّي لا أشاريه ولا أماريه .

٣٢٠ . «من الخرق المعاجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة».

الخرق: الحمق وقلة العقل، وكلتا الجملتين دليل على الحمق والنقص .

٣٢١ . «من هوان الدنّيا على الله أنّه لا يعصى إلاّ فيها، ولا ينال ما عنده إلاّ بتركها».

قد ورد في ذمّ الدنّيا أكثر من أن يحصى . وورد أنّ رسول الله ﷺ مرّ على شاة ميّنة، فقال: أترون أنّ هذه الشاة هيّنة على أهلها ؟ قالوا: نعم، ومن هوانها ألقوها . فقال: والذي نفسي بيده للدنّيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنّيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء .

٣٢٢ . «من طلب شيئاً ناله أو بعضه».

هذا مثل قولهم: من طلب شيئاً وجدّ وجد، ومن قرع باباً ولجّ

ولج . وظاهر أنّ الطلب معدّ لحصول المطلوب ، فإنّ تمّ الاستعداد له نال الكلّ ، وإلاّ فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب .

٣٢٣ . « ما خير بخير بعده النّار ، وما شرّ بشرّ بعده الجنّة ، وكلّ نعيم دون الجنّة فهو محقور ، وكلّ بلاء دون النّار عافية » .

« خير » برفع ، اسم « ما » و « بعده النّار » صفة له ، وموضعه رفع ، وموضع الجارّ والمجرور نصب لأنّه خبر ما ، والباء زائدة ، والتقدير : ما خير تتعقّب النّار بخير ، وكذلك قوله عائلاً : « ما شرّ بشرّ بعده الجنّة » . والجملتان الأقربان تكونان كالتفسير للفقرتين الأوليين .

٣٢٤ . « المنية ولا الدنية ، والتقلل ولا التوسّل » .

أي المنية أسهل من الدنية ، أي الخسيسية من الأمر ترتكب في طلب الدنيا . وهذا كما قال الحسين عائلاً :  
الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النّار  
ومعنى الفقرة الثانية أنّ القناعة بالقليل من العيش والتبّلغ به خير من التوسّل إلى أهل الدنيا في طلبها . قال الشاعر :

أقسم بالله لمصّ النّوى وشرب ماء القلب المالحه  
أحسن بالإنسان من ذلك ومن سؤال الأوجه الكالحه  
فاستغن بالله تكن ذا غنى مغتبطاً بالصفقة الرابحه

فألزهد عزّ والتقى سؤدد      وذلة النفس لها فاضحه  
كم سالم صيح به بغتة      وقائل عهدي به البارحه  
أمسى وأمست عنده قينة      وأصبحت تندبه نأجحه  
طوبى لمن كانت موازينه      يوم يلاقي ربّه راجحه

٣٢٥ . «من لم يعط قاعداً لم يعط قائماً».

أي إن الرزق قد قسمه الله تعالى، فمن لم يرزقه قاعداً لم  
يجب عليه القيام والحركة. قال ولده الشهيد المظلوم عليه السلام :  
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً      فقلّة حرص المرء في الرزق أجمل  
وقال الشاعر:

جرى قلم القضاء بما يكون      فسيان التحرك والسكون  
جنون منك أن تسعى لرزق      ويرزق في غشاوته الجنين

٣٢٦ . «مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم».

الغائلة: الحقد، وذلك لأنّ مباعده الناس في أخلاقهم تستلزم  
منافرتهم وعداوتهم وأحقادهم فالعدول عنها إلى المقاربة  
والمشاكلة يستلزم الأمن من ذلك منهم. وكان يقال: إذا نزلت  
على قوم فتشبه بأخلاقهم، فإنّ الإنسان من حيث يوجد، لا من  
حيث يولد.

٣٢٧ . «من أوماً إلى متفاوت خذلته الحيل».

المتفاوت: كالأمر المتضادة أو التي يتعدّر الجمع منها.

٣٢٨ . «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله،  
وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله سبحانه».

تيه الفقراء على الأغنياء أصعب عليهم وأشقّ من تواضع  
الأغنياء لهم، إذ كان تيههم يستدعي كمال التوكّل على الله، وهو  
درجة عالية في الطريق إليه، فلذلك كان أفضل وأحسن لقوله صلى الله عليه وآله :  
أفضل الأعمال أحمرها، قال الشاعر :

قنعت فأعتقت نفسي ولن أملك ذا ثروة رقهها  
ونزهتها عن سؤال الرجال ومنّة من لا يرى حقها  
وإن القناعة كنز اللبيب إذا ارتقت فتقت رتقها  
فما فارقت مهجة جسمها لعمرك أو وقيت رزقها

٣٢٩ . «ما استودع الله امرأ عقلاً إلا ليستنقذه به يوماً ما».

العقل إما أن ينقذ الإنقاذ الدينيّ، وهو الفلاح والنجاح على  
الحقيقة، أو ينقذ من بعض مهالك الدنيا وآفاتها. كان يقال:  
العاقل يروي ثم يروي ويخبر ثم يخبر.

٣٣٠ . «من صارع الحق صرعه».

هذا مثل قوله عليه السلام : من أبدى صفتته للحق هلك .

٣٣١ . «من صبر صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار».

وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال للأشعث بن قيس معزياً عن ابن



له :

٣٣٢ . «إن صبرت صبرا أكرا، وإلا سلوت سلوا البهائم».

الأعمار: الجهال، جمع غمر. وذكر أبو تمام هذا الخبر في

قوله:

وقال علي في التعازي لأشعث وخاف عليه بعض تلك المآثم  
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة فتؤجر أم تسلو سلوا البهائم

٣٣٣ . «مسكين ابن آدم مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ

العمل، تؤلمه البقعة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة».

«مسكين» خبر لـ «ابن آدم»، والتقدير: ابن آدم مسكين،  
ثم بين مسكنته من ستة أوجه: أجله مكتوم لا يدري متى يخترم،  
وعله باطنة لا يدري بها حتى تهيج عليه، وعمله محفوظ: ﴿مَا لِهَذَا  
الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقرص البقعة  
يؤلمه، والشرقة بالماء تقتله، وإذا عرق أنتنته العرقة الواحدة وغيرت  
ريحه، فمن كان على هذه الصفات فهو مسكين لا محالة، لا  
ينبغي أن يأمن ولا أن يفخر.

٣٣٤ . «من أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن عمل

لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن

---

(١) الكهف: ٤٩ .

الله ما بينه وبين الناس».

لا ريب أن الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة، فمن صلح باطنه صلح ظاهره وبالعكس، وذلك لأن القلب أمير مسلط على الجوارح، والرعية تتبع أميرها ولا ريب أن من عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾<sup>(١)</sup> ولهذا أيضاً علّة ظاهرة، وهي أن الناس إذا حسنت عقيدتهم في إنسان وعلّموا متانة دينه بوبّوا له إلى الدنيا أبواباً لا يحتاج أن يتكأفها، ولا يتعب فيها، فيأتيه رزقه من غير كلفة ولا كدّ.

وقوله: «ومن أحسن . . .» إلى آخره، وذلك لأن القلوب بالضرورة تميل إليه وتحبه، وذلك لأنّه إذا كان محسناً بينه وبين الناس عفاً عن أموالهم ودمائهم وأعراضهم، وترك الدخول فيما لا يعينه، ولا شبهة أن من كان بهذه الصفة فإنّه يحسن ما بينه وبين الناس .

٣٣٥ . «من شكّا الحاجة إلى مؤمن فكأنّما شكّاها إلى الله، ومن شكّاها إلى كافر فكأنّما شكّا الله».

شكاية المؤمن إلى المؤمن شكاية في موضعها . إذ كانت ثمرة الشكاية المعاونة على دفع الأمر المشكوك منه، والمؤمن من

---

(١) الطلاق: ٢-٣ .

شأنه ذلك، بخلاف الكافر . ورغب في الأول بتشبيهها بالشكاية إلى الله، ووجه الشبه أن المؤمن حبيب الله ومقرّب عند الله فكأن المشتكي إليه جعله وسيلة إلى الله في شكواه فأشبهه الشكوى إليه، بخلاف الشكاية إلى الكافر فإنه عدو الله، فمن شكا إليه أمراً فكأنما شكا من الله إلى عدوه .

٣٣٦ . «ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة، ولا ليفتح عليه باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة» .

فتح الله هذه الأبواب بقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾<sup>(١)</sup> و ﴿ادعوني أستجب لكم﴾<sup>(٢)</sup> .

٣٣٧ . «ما أنقض النوم لعزائم اليوم» .

قال ابن ميثم: «ما» هنا للتعجب . وهذه الكلمة تجري مجرى المثل، يضرب لمن يعزم على أمر فيغفل عنه أو يتهاون فيه ويتراخى عن فعله حتى ينتقض عزمه عنه . وأصله أن الإنسان قد ينوي السفر مثلاً أو الحركة بقطعة من الليل ليتوقّف في نهاره على سيره فيغلبه النوم إلى الصباح، فيفوت وقت عزمه، فينتقض ما كان عزم عليه في يومه<sup>(٣)</sup> .

---

(١) إبراهيم: ٧ .

(٢) غافر: ٦٠ .

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥ : ٤٥٤ .

٣٣٨ . «من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا» .

ارتطم فلان في الوحل والأمر إذا ارتبك فيه ولم يقدر على الخروج منه ، وإنما قال ذلك لأنّ مسائل الربا مشتبهة بمسائل البيع ، ولا يفرق بينهما إلاّ الفقيه الكامل .

٣٣٩ . «من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها» .

وإنما لزمه ذلك لاستعداده بتضجره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء ، ولو قد حمد الله على بلائه لاستعدّ بذلك لدفعه .

٣٤٠ . «من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته» .

قال الشاعر :

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله وفرجك نالاً منتهى الذمّ أجمعاً

٣٤١ . «ما مزح امرؤ مزحة إلاّ مجّ من عقله مجّة» .

استعار لفظ المَجّ بما يطرحه الإنسان من عقله في مزحه أو مزحاته ، فكأنّه قد مجّه كما يمَجّ الماء من فيه . وكان يقال : خير المزاح لا ينال ، وشرّه لا يستقال . وقيل : لكلّ شيء بذر وبذر العداوة المزاح . وقيل : سمّي المزاح مزاحاً لأنّه أزيح عن الحقّ .

٣٤٢ . «ما زال الزبير رجلاً منا أهل البيت حتّى نشأ ابنه

المشؤوم عبدالله» .

عبدالله بن الزبير : أمّه أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر .

قيل: هو أول مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة، ففرحوا به فرحاً شديداً، وذلك لأنه قيل لهم: إن اليهود سحرتكم فلا يولد لكم. وشهد مع أبيه وخالته الجمل، وكان شديد البأس، ومبارزته مع الأشتر، وقوله: «اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي» معروف. وكان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه، كقيس بن سعد الأنصاري، وأحنف بن قيس، وشريح القاضي، ويقال لهم: السادات الطلس.

و كان بخيلاً، ضيق العطن، سيئ الخلق، حسوداً كثير الخلاف، وأخرج محمد بن الحنفية من مكة والمدينة، ونفى عبدالله بن عباس إلى الطائف، والكلمات التي ردت بينهما معروفة. وكان عدواً للأمير المؤمنين عليه السلام، وكانت عائشة تحبه شديداً حتى قيل: لم يكن أحد أحب إليها بعد أبي بكر من عبدالله بن الزبير.

وكان لسناً، وهو الذي قال في جواب فضالة بن شريك الوالبي حيث قال له: لعن الله ناقه حملتني إليك، قال: إن وراكبها. ومن أطلع على هذه القضية يطلع على شدة بخله أيضاً. وقد ذكر المسعودي وغيره أن عبد الله بن الزبير جمع بني هاشم كلهم ومنهم محمد بن الحنفية في سجن عارم، وأراد أن يحرقهم بالنار، فجعل في فم الشعب حطباً كثيراً إذ ورد أبو عبدالله الجدلي من جانب المختار في أربعة آلاف، وقصد الشعب

بإخراج الهاشميين منه وهرب ابن الزبير فلاذ بأستار الكعبة. قال ابن أبي الحديد: قال المسعودي: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول: إنما أراد بذلك أن لا تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار<sup>(١)</sup>.

وروى أيضا عن المسعودي عن سعيد بن جبير، أن ابن عباس دخل على ابن الزبير، فقال له ابن الزبير: إلام تؤنّبني وتعنّفني؟ قال ابن عباس: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره» وأنت ذلك الرجل، فقال ابن الزبير: والله إنّي لأكتم بفضلكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة. وتشاجرا، فخرج ابن عباس من مكّة، فأقام بالطائف حتى مات<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة قتله الحجاج الثقفي في أيام عبد الملك بمكّة وصلب جسده، وبه أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه في قوله: «خبّ ضبّ، يروم أمرا ولا يدركه، ينصب حباله الدين لاصطياد

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٠: ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه ٢٠: ١٤٨.

الدنيا، وهو بعد مصلوب قريش».

٣٤٣. «ما لابن آدم والفخر أوله نطفة، وآخره جيفة. لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه».

وقد أخذ الشاعر هذا الكلام في قوله:

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر  
يصبح ما يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر  
قال بعض الحكماء: الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن  
الإنسان، وذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله، وانحسر عنه قناع  
جهله، فأعراض الدنيا عارية مستردة، لا يؤمن في كل ساعة أن  
ترتجع، والمباهي بها مباء بما في غير ذاته.

٣٤٤. «منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا».

نهم فلان بكذا فهو منهوم، أي مولى به، واقتبس عنه هذه  
الكلمة من النبي ﷺ: «منهومان لا يشبعان: منهوم بالمال، ومنهوم  
بالعلم».

٣٤٥. «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن  
قدر فعف، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة».

في حكمة سليمان بن داود: إنَّ الغالب لهواه أشدَّ من الذي  
يفتح المدينة وحده. وقال سليمان بن داود: يا بني إسرائيل،  
أوصيكم بأمرين أفلح من فعلهما: لا تدخلوا أجوافكم إلاَّ

الطيب، ولا تخرجوا من أفواهكم إلا الطيب .

٣٤٦ . «ما أخذ الله على أهل الجاهل أن يتعلموا حتى أخذ على

أهل العلم أن يعلموا».

مَّا كَانَ التَّعَلُّمُ عَلَى الْجَاهِلِ فَرِيضَةً ، وَلَا يُمْكِنُ إِلَّا بِمُعَلِّمٍ  
عَالِمٍ ، كَانَ وَجُوبُ التَّعَلُّمِ عَلَى الْجَاهِلِ مُسْتَلْزِمًا لَوَجُوبِ التَّعْلِيمِ  
عَلَى الْعَالِمِ . رَوَى : مَنْ عِلْمٌ عِلْمًا وَكُتِمَ أَجْمَعَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ .





## حرف النون

٣٤٧ . «نفس المرء خطاه إلى أجله».

استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار أنه على التعاقب والتقضّي، فهو مقرب من الغاية التي هي الأجل كالخطا المتعاقبة الموصلة للإنسان إلى غايته من طريقه.

٣٤٨ . «نحن النمرقة الوسطى التي يلحق بها التالي وإليها

يرجع الغالي».

النمرق والنمرقة بالضمّ فيهما: وسادة صغيرة، ويقال للطنفسة فوق الرحل نمرقة. والمعنى أنّ كلّ فضيلة فإنّها مجنحة بطرفين معدودين من الرذائل، والمراد أنّ آل محمد عليهم السلام هم الأمر المتوسط بين الطرفين المذمومين، فكلّ من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، وكلّ من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم.

٣٤٩ و ٣٥٠ . «الناس أعداء ما جهلوا».

والعلة في أنّ الإنسان عدوّ ما جهله أنّه يخاف من تقرّيعه

بالنقص وبعدم العلم بذلك الشيء، خصوصاً إذا ضمّه ناد أو جمع من الناس فإنّه تتصاغر نفسه عنده إذا خاضوا فيما لا يعرفه، ويحقّره في أعين الحاضرين، وكلّ شيء آذاك ونال منك فهو عدوك. وفي الديوان: «والجاهلون لأهل العلم أعداء».

٣٥١. «الناس في الدنيا عاملان: عامل في الدنيا للدنيا، قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلف الفقر، ويأمنه على نفسه، فيفني عمره في منفعة غيره. وعامل عمل في الدنيا لما بعدها، فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل، فأحرز الحظّين معاً، وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله، لا يسأل الله حاجة فيمنعه».

قوله عائلاً: «ويأمنه على نفسه»، أي لا يبالي أن يكون هو فقيراً، لأنّه يعيش عيش الفقراء وإن كان ذا مال، لكنّه يدخر المال لولده فيفني عمره في منفعة غيره. ويجوز أن يكون معناه أنّه لكثرة ماله قد آمن الفقر على نفسه مادام حياً، ولكنّه لا يأمن الفقر على ولده لأنّه لا يثق من ولده بحسن الاكتساب.

٣٥٢. «الناس أبناء الدنيا، ولا يلام الرجل على حبّ أمه».

وقال عائلاً في موضع آخر: «الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم».

٣٥٣. «نعم الطيب المسك، خفيف محمله، عطر ريحه».

كان النبي صلّى الله عليه وآله كثير التطيّب بالمسك وبغيره من أصناف

المسك . وعن عائشة قالت : كأنني أنظر إلى وبيض المسك في  
مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم . وجاء في الخبر عنه ﷺ : حَبَّ  
إليّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرّة عيني في الصلاة .  
وورد : خير طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وخير طيب  
النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه .



## حرف الواو

٣٥٤. «واعجباً أنتكون الخلافة بالصحابة والقراية».

قال الرضي رضي الله عنه: وروي له شعر في هذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبي وأقرب

قال ابن أبي الحديد: حديثه في النثر والنظم المذكورين مع أبي بكر وعمر، أما النثر فإلى عمر توجيهه، لأنّ أبا بكر لما قال لعمر: أمدد يدك، قال له عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها، شدتها ورخائها، فامدد أنت يدك، فقال عليّ عليه السلام: إذا احتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إياه في المواطن، فهلاًّ سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك، وزاد عليه «بالقراية» وأما النظم فموجّه إلى أبي بكر، لأنّ أبا بكر حاجّ الأنصار في السقيفة، فقال: نحن عترة رسول الله وبيضته التي تفقّأت عنه، فلمّا بويع

احتجّ على الناس بالبيعة، وأنها صدرت عن أهل الحلّ والعقد، فقال عليّ عليه السلام: أمّا احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله ومن قومه، فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأمّا احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين، لم يحضروا العقد فكيف يثبت، انتهى<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن يكون توجه كلامه إلى عثمان، لما روي هذا القول عنه عليه السلام بعد بيعة عثمان. واختار ذلك ابن ميثم في الشرح<sup>(٢)</sup>.

٣٥٥ . «والله لديناكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم».

العراق: جمع عرق، وهو العظم عليه شيء من اللحم. وذلك نهاية حقارة الدنيا وهوانها في عينه عليه السلام، لأنّ العرق لا خير فيه، فإذا تأكّد بكونه من خنزير ثمّ بكونه في يد مجذوم بلغت النفرة منه الغاية. ومن تأمّل سيرته في حالتي خلوه من العمل وولايته الخلافة يعرف أنّ الدنيا كانت في عينه بهذه المنزلة بل أهون. صلوات الله وسلامه عليه.

٣٥٦ . «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨ : ٤١٦ .

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥ : ٣٤٢ .

## وفاء عند الله.

وذلك أنّ من عهد الله في دينه الغدر وعدم الوفاء لهم إذا غدروا، لقوله: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. قيل: نزلت في يهود بني قينقاع، وكان بينهم وبين الرسول ﷺ عهد، فعزموا على نقضه، فأخبره الله تعالى بذلك، وأمره بحربهم ومجازاتهم بنقض عهدهم، فكان الوفاء لهم غدرا بعهد الله، والغدر بهم إذا غدروا وفاء بعهد الله.

## ٣٥٧. «الولايات مضامير الرجال».

قال ابن ميثم: أراد بالمضامير مظان معرفة جودة الفرس [وردائته]، وهي الأمكنة التي يقرب فيها الخيل للسباق، واستعار عليّاً لفظها للولايات باعتبار أنّها مظان ظهور جودة الوالي من خسته وردائته، كما أنّ المضامير للخير كذلك<sup>(٢)</sup>.



---

(١) الأنفال: ٥٨.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ٥: ٤٥٤.

## حرف الهاء

٣٥٨. «هلك في رجلان: محبّ غالٍ، ومبغضٍ قال».

لما كانت محبة أولياء الله فضيلة نفسانية كان الطرفان منها رذيلتين يستلزمان هلاك صاحبهما في الآخرة. قال رسول الله ﷺ: واللّه لو لا أنّي أشفق أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت النصراني في ابن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بأحد من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة<sup>(١)</sup>. ومع كونه ﷺ لم يقل فيه ذلك المقال فقد غلت فيه غلاة كثيرة العدد منتشرة في الدنيا.

٣٥٩. «هلك امرؤ لم يعرف قدره».

لا ريب أنّ من لا يعرف منزلته ومحلّه يوشك أن يتجاوز عن مرتبته، فيدركه هلاك الدنيا، مثل أن يجلس من ليس له من العلم مثلاً مجلس العالم، فبذلك تلعب ألسنة الناس وأيديهم به ويكون هلاكه بذلك، أو متصدّي لمنصب القضاء فيكون هلاك آخرته بذلك وهكذا.



(١) البحار ٤٠ : ٨١ .

## حرف الياء

٣٦٠ . «يا ابن آدم، إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره».

هذا الكلام تخويف وتحذير من الاستدراج، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وذلك لأن العبد بغروره يعتقد أن موالاة النعم عليه وهو عاص من باب الرضا عنه، ولا يعلم أنه استدراج له ونقمة عليه. فينبغي له الحذر، فإن ترادف النعم عليه وهو مصرّ على المعصية كالمنبّه له على وجوب الحذر. مثال ذلك من هو في خدمة ملك، وهو عون ذلك الملك في دولته، ويعلم أن الملك قد عرف حاله، ثم يرى نعم الملك مترادفة إليه، فإنه يجب بمقتضى الاحتياط أن يشتدّ حذره، لأنه يقول: ليست حالي مع الملك حال من يستحقّ هذه النعم، وما هذه إلا مكيدة وتحتها غائلة، فيجب عليه إذن أن يحذر.

---

(١) الأعراف: ١٨٢.



٣٦١ . «ينزل الصبر على قدر المصيبة، ومن ضرب يده على  
فخذه عند مصيبتة حبط أجره».

إنَّ الله سبحانه جعل للإنسان قوَّة استعداد لأن يصبر بمقدار  
مصيبتة، فمن تمَّ استعداد أفيض عليه ذلك المقدار من الصبر، ومن  
قصر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو  
الجزع، حبط أجره وهو ثوابه على الصبر. وكنتى عن الجزع بما  
يلزمه في العادة من ضرب اليدين على الفخذين.

وقيل: بل يحبط ثوابه السابق، لأنَّ شدة الجزع يستلزم  
كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات إلى ما وعد به  
الصابرين، وهذا موجب لمحو الحسنات. وقد ورد في فضيلة  
الصبر ما لا يخفى. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول عند التعزية:  
عليكم بالصبر، فإنَّ به يأخذ الحازم، ويعود إليه الجازع. وقال أبو  
خراش الهذلي يذكر أخاه عروة:

تقول أراه بعد عروة لاهيا      وذلك رزء لو علمت جليل  
فلا تحسبي أنني تناسيت عهده      ولكن صبري يا أميم جميل

٣٦٢ . «يا ابن آدم، ما كسبت فوق قوتك، فأنت فيه خازن  
لغيرك».

أخذ هذا المعنى بعضهم، فقال:

مالي أراك الدهر تجمع دأبها      أبعل عرسك لا أبالك تجمع

٣٦٣ . «يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على

المظلوم».

المراد بيوم المظلوم على الظالم يوم القيامة، وكان أشدّ لأنّ ذلك اليوم يوم الجزاء الكلّي، والانتقام الأعظم، وقصارى أمر الظالم في الدّنيا أن يقتل غيره فيميته ميتة واحدة، ثمّ لا سبيل له بعد إمامته إلى أن يدخل عليه المأ آخر، وأمّا يوم الجزاء فإنّه يوم لا يموت الظالم فيه فيستريح، بل عذابه دائم متجدّد. نعوذ بالله من سخطه وعذابه وقرب منه قوله عليه السلام في موضع آخر:

٣٦٤ . «يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على

المظلوم».

٣٦٥ . «يا ابن آدم، كن وصيّ نفسك، واعمل في مالك ما تؤثّر

أن يعمل فيه من بعدك».

أي كما توصي من بعدك أن يوضع مالك موضع القربيات وانتفاع أهلك به فكن أنت ذلك الوصيّ، وضعه تلك المواضع في حياتك.

٣٦٦ . «يا ابن آدم، لا تحمل همّ يومك الذي لم يأتك على

يومك الذي أتاك، فإنّه إن يكن من عمرك يأت الله فيه برزقك».

خلاصة هذا الكلام النهي عن الحرص على الدّنيا والاهتمام لها، وإعلام الناس أنّ الله قد قسم الرزق لكلّ حيّ من

خلقه ، فلو لم يتكأف الإنسان لأتاه رزقه من حيث لا يحتسب ، وإذا نظر الإنسان إلى الدودة المكنونة داخل الصخرة كيف ترزق ، علم أن صانع العالم قد تكفل لكل ذي حياة بمادة تقويم حياته إلى انقضاء عمره .

وهذا مثل قوله ﷺ لبعض أصحابه :

٣٦٧ . « لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك ، فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله فإن الله لا يضيع أولياءه ، وإن يكونوا أعداء الله ، فما همك وشغلك بأعداء الله ؟ » .

ومثل قوله ﷺ :

٣٦٨ . « لو سدّ على رجل باب بيت ، وترك فيه ، من أين كان يأتيه رزقه ؟ فقال ﷺ : من حيث يأتيه أجله » .

٣٦٩ . « ينام الرجل على الثكل ، ولا ينام على الحرب » .

قال السيّد : ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الأولاد ، ولا يصبر على سلب الأموال . قال كمال الدين بن ميثم : الحرب : سلب الأموال . وإنما كان كذلك ، وإن كان المال والولد محبوبين ، للطمع في استخلاص المال بالنهوض له والحرب عنه ، دون الثكل<sup>(١)</sup> .

---

(١) شرح النهج لابن ميثم ٥ : ٣٩٧ .

٣٧٠ . «يا أسرى الرّغبة أقصروا، فإنّ المعرّج على الدّنيا لا يروعه إلّا صريف أنياب الحدثان. أيّها النّاس، تولّوا عن أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراية عاداتها».

التعريج بالشّيء: الإقامة والانعطاف عليه. والصريف: صوت الأسنان إمّا عند رعدة أو عند شدّة الغضب والحنق، والحرص على الانتقام، أو نحو ذلك. شبه عيّلا الحدثان وهو الموت بالبعير الهائج أو بالفهد إذا وثب والذئب إذا حمل. وذلك لأنّ الفهد والذئب في هذه الحالات يصرف نابها، ويقولون لكلّ خطب وداهية: جاءت تصرف نابها. و(ضرى) كرمى، أي: جرى وسال. أي اعدلوا بها عن عاداتها الجارية، من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

٣٧١ . «يأتي على النّاس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه، ومن الإسلام إلّا اسمه، ومساجدهم يومئذ عامرة من البناء، خراب من الهدى، سكّانها وعمّارها شرّ أهل الأرض، منهم تخرج الفتنة، وإليهم تأوي الخطيئة، يردّون من شدّ عنها فيها، ويسوقون من تأخّر عنها إليها. يقول الله سبحانه: فبي حلقت لأبعثنّ على أولئك فتنة أتترك الحلّيم فيها حيران، وقد فعل، ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة».

هذه صفة حال أهل الضلال والفسق والرياء من هذه الامّة، ولعلّ المراد بقوله: «فتنة»، أي استئصالاً وسيفاً حاصداً يترك الحلّيم أي العاقل اللبيب، «وروي: الحكيم» فيها حيران، لا يعلم

كيف وجه خلاصه .

وقوله عليه السلام: «وقد فعل»، ينبغي أن يكون قد قال هذا الكلام في أيام خلافته، لأنها كانت أيام السيف المسلط على أهل الضلال من المسلمين. والله أعلم.

٣٧٢ . «يأتي على الناس زمان عضوض، يعضّ الموسر فيه على ما في يديه، ولم يؤمر بذلك، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، ينهد فيه الأشرار، ويستندل الأخيار، ويباع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين».

«زمان عضوض»، أي كلب على الناس، كأنه يعضّهم، وفعول للمبالغة. «يعضّ الموسر»، أي يبخل ويمسك. و«ينهد»: يرتفع ويعلو، أي ينهضون إلى الولايات والرياسات، وترتفع أقدارهم في الدنيا. «ويباع المضطرون»، أي يكون على وجه الاضطرار والإلجاء كمن بيع ضيعته، وهو ذليل ضعيف، من ربّ ضيعة مجاورة لها ذي ثروة وعزّ وجاه، فيلجئه بمنعه الماء واستذلاله الأكرة والوكيل إلى أن يبيعهها عليه، وذلك منهيّ عنه، لأنّه حرام محض .

٣٧٣ . «يهلك فيّ رجلان: محبّ مطرٍ، وباهت مضترٍ».

قال السيّد: وهذا مثل قوله عليه السلام: يهلك فيّ اثنان: محبّ غال، ومبغض قال. المحبّ المطري بكثرة المدح كالغلاة وهم في طرف

الإفراط، والذي يبهته ويفتري عليه بأنّه العياذ باللّٰه كافر ومخطئ  
كالخوارج وهم في طرف التفريط. وكلاهما رذيلتان خارجتان  
عن فضيلة العدل. والرذائل مهاوي الهلاك الأخرى. وقد تقدّم  
قريب من هذا الكلام في باب الهاء.

قد تمّ على يد جامعه عبّاس بن محمّد رضا القمّي عفي عنه في  
سنة ١٣٢٨ هـ.ق.





## فهرس الكتاب

|    |       |           |
|----|-------|-----------|
| ٧  | ..... | حرف الألف |
| ٤٨ | ..... | حرف الباء |
| ٥١ | ..... | حرف التاء |
| ٥٤ | ..... | حرف الثاء |
| ٥٥ | ..... | حرف الجيم |
| ٥٧ | ..... | حرف الحاء |
| ٦٠ | ..... | حرف الخاء |
| ٦٣ | ..... | حرف الدال |
| ٦٦ | ..... | حرف الراء |
| ٧٢ | ..... | حرف الزاي |
| ٧٣ | ..... | حرف السين |
| ٧٥ | ..... | حرف الشين |
| ٧٧ | ..... | حرف الصاد |
| ٨٠ | ..... | حرف الضاد |
| ٨١ | ..... | حرف الطاء |



|     |       |             |
|-----|-------|-------------|
| ٨٢  | ..... | حرف الظاء   |
| ٨٣  | ..... | حرف العين   |
| ٩٣  | ..... | حرف الغين   |
| ٩٦  | ..... | حرف الفاء   |
| ١٠٠ | ..... | حرف القاف   |
| ١٠٥ | ..... | حرف الكاف   |
| ١١٣ | ..... | حرف اللام   |
| ١٣٣ | ..... | حرف الميم   |
| ١٦٨ | ..... | حرف النون   |
| ١٧١ | ..... | حرف الواو   |
| ١٧٤ | ..... | حرف الهاء   |
| ١٧٥ | ..... | حرف الياء   |
| ١٨٣ | ..... | فهرس الكتاب |

